ملحق المحرّر

فلسطين

ملحق المحرر العدد (٥٣٣)   الخميس ٨ نيسان ١٩٦٥   فلسطين رقم ١٢

خطة دالت الصهيونية لاجتياح فلسطين

أول معلومات تنشر عنها
ص ٨+٩

بقلم : وليد الخالدي

- العرب في الرواية الصهيونية
ص ١٠ + ١١

- الاغنية الصفراء
قصيدة لشاعر عربي من الارض المحتلة

رأي حر

هل نحن بحاجة ماسة الى اذاعة خاصة بفلسطين ؟..

افتتحت منظمة التحرير الفلسطينية اذاعة باسم اذاعة فلسطين « صوت منظمة التحرير الفلسطينية » من القاهرة في الاول من شهر آذار ١٩٦٥ . وقد كنا ننتظر ان نسمع الكثير الكثير من برامج متنوعة اعدت خصيصا ومسبقا لتنقل بثقلها النوعي والكمي عبر اثير تلك الاذاعة . وقد استمعناها اياما واياما الا ان النتيجة ولسوء الحظ كانت عبارة عن موالات شعبية فلسطينية وبين الفينة والفينة يخرج المذيع لاكثر من مرة ويصرخ صوت فلسطين الخ...

فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن ما القصد من مثل هذا الاذاعة ؟ ولماذا وجدت ؟ وعلى اي اساس خطط لها في الماضي والحاضر والمستقبل ؟.

وهل وجدت لنسمع عتابا وميجانا فقط ؟ ام هل وجدت لهدف آخر هو هم كل فلسطيني وعربي .. في رأيي وجدت لتساهم في خلق الابداع الفكري الثوري عند هذا الانسان الذي فقد وطنه ، وجدت لتساعده في التصدي لمعركته المقبلة في التحرير وجدت لتضعه امام مسؤولياته في التحدي الكبير يوم ان يزحف مع جموع المشردين الى تحرير ارضه من الغاصبين ، وجدت لتعطي صورة سليمة للانسان العادي عن حق الشعب العربي في فلسطين ، وجدت لاكثر من هذا يا منظمة التحرير، فاين اذاعتكم من هذا كله ؟ لقد عملنا سابقا ولا نزال نعمل على سماع ركن فلسطين من صوت العرب ، فأين هذا من تلك ، فروقات شاسعة في البرامج.

نحن نعلم انه خصصت مبالغ ضخمة من المال كميزانية للاذاعة فعلى حساب من ولمن تصرف كل هذه المبالغ يا منظمة التحرير وهل هذه البرامج تساوي تلك المصاريف الباهظة مع العلم ان هنالك مشاريع اخرى تستحق الاهمية بقدر اوفر من مثل هذه الاذاعة فعلى سبيل المثال ما رأيكم لو استعملنا هذه المبالغ في افتتاح مكاتب ثقافية للدعاية في اوروبا وافريقيا والامريكتين وتفريغ اشخاص مؤهلين لسد الفراغ الدعاوي في الاماكن المذكورة . او على الاقل وهذا اضعف الايمان ايجاد النشرات والكراسات والكتب والمجلات الدعاوية للقضية الفلسطينية ففي اعتقادي ان هذا افضل الف مرة من ان نظل نستمع الى دلعونا ...

فما رأيكم يا قادة منظمة التحرير ؟

بيروت — رأفت

* * *

مستر اندرستاند

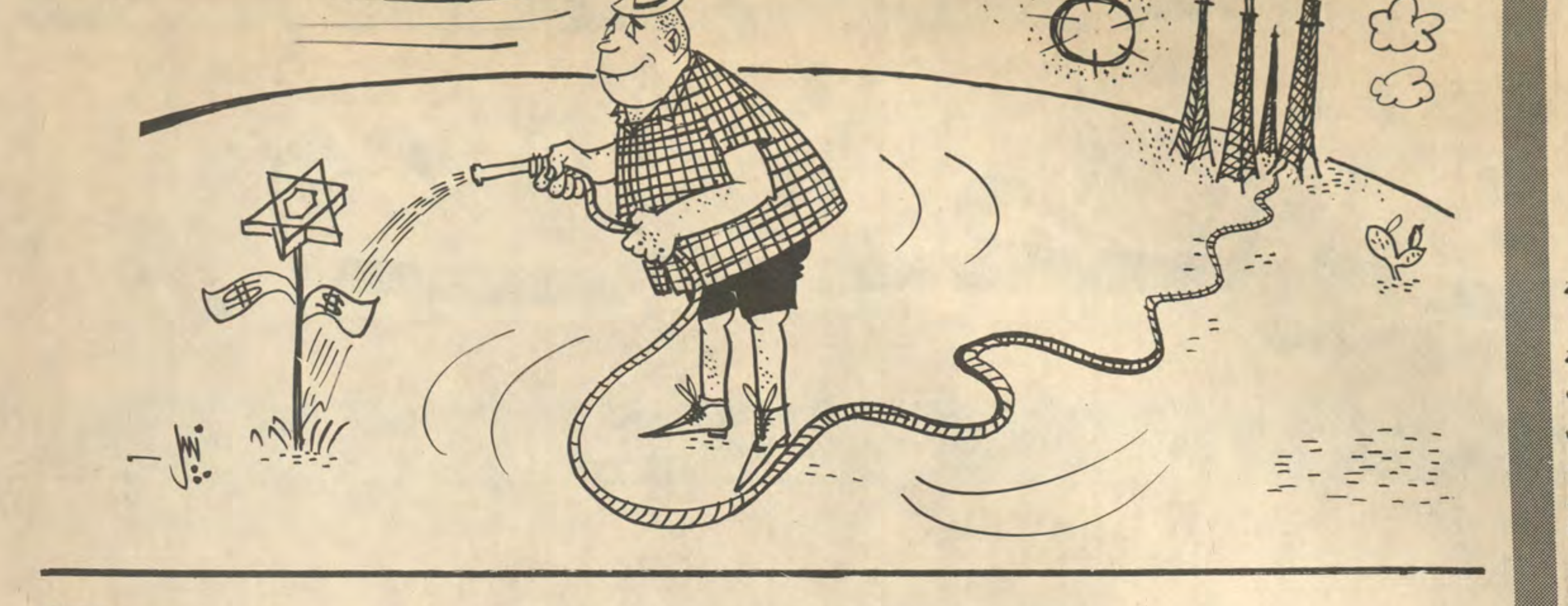

البريد

● في بريد اليوم قصائد واناشيد تعبر عن الثورة المتأججة في نفوس مرسليها وكلهم عزم وايمان بتحرير فلسطينتهم من شراذم العصابات اليهودية ، ويعاهدون الله والعروبة ان يعملوا يدا واحدة في سبيل استرداد بلادهم ولو كره الكافرون ...

(فلسطين)

● حسن علي معروف — سبلين

حتى تعود :
كيما تعود ..
ردوا عن خدرها الاشباح !
فتبسم الارواح ..
ويهرب الظلام ..
يلعن النور !!
هذه الارواح ...
تسبح في حلقة الشمس
ردوا عن خدرها الغيوم ..
فتبسم الاضواء ..
ويفرد العندليب ..
أغنية النهار ..
وتزحف الافاعي ...
في بطونها .. النار ..
فحيح .. مميت
وانت يا ملاكي ..!
مزقي ثوب الالم ..
عل من يراك ..
يقوم من العدم !!
فالريح معطرة الانفاس ..
تعزف أغنية الصباح !!
قد يموت الظلام ..!
لو وقدنا الشموع !!
بباب القدر !
وبأيدينا .. رماح !
نرفص والرياح ...

● رضوان القطب — طرابلس — الميناء

شهداؤنا في ثورة
فانفض الغبار
ليندفع الاعصار
صاحب الحق انت
جاهد
واقتل واستشهد
كفى تلبد الغيوم
لتكن دمدمة الرعود
لتهب العاصفة
وتلتهم الغاصب
وتصفو السماء
وتشرق الشمس
وتعود ... وتعود

● مثقال نزال الفارس — مخيم العباسية — صيدا

غدا سوف تصبح الولايات العربية المتحدة حقيقة واقعة رغم انف المكابرين غدا لسوف يحس الغرب والدول التي تدور في فلكه ان قوة جديدة قد ولدت في المنطقة ويجب ان يحسب لها الف حساب ...

قوة عربية كبيرة لها الحق في ان تتكلم .. وان تتنفس .. وان تعيش . قوة من الاحرار الذين يبنون الحياة لا من العبيد الذين يجرون القيود .

قوة تصرخ ولا تصمت . تزمجر ولا تبكي ... تقف ولا تركع ... تصعر الخد ولا تحني الجبهة ... تسلك طريق التعايش السلمي . ولا ترتمي في احضان الاجنبي الدخيل !

غدا ستعلم دولة العصابات هذه الدولة « اللقيطة » ان الدول العربية المتخلفة اصبحت كتلة واحدة متماسكة يشد بعضها بعضا كالبنيان المرصوص. كتلة تعمل ولا تلهو ... تفكر ولا تجعجع ... تأمر ولا تتوسل تشخط في وجه الاستعمار ولا تشحذ منه القوة والنفوذ ..

لقد انقضى العهد الذي كان يحسب فيه الغرب . اننا امة متخلفة من العبيد لقد دارت عجلة التاريخ دورتها ولن يستطيع الغرب ان يتصدى لها مهما تفنن في وضع العصى بين الدواليب . لقد صرنا احرارا والاحرار لا يخضعون لنفوذ الطغيان ... لا يتلقون الاوامر بالبريد الدبلوماسي .

الاحرار يرفعون الرؤوس في شمم ولا يذلون الجباه في خنوع ... يؤثرون الحياة التي يصنعها فلاسفة الثورات على الحياة التي يصنعها الاستبداد .

ولتعلم هذه الشرذمة اننا ننشد السلم ولا نريد الاستسلام ... نقلم اظافر الذئب المفترس ونعيش في هدوء مع الحمل الوديع ... نريق الدم دفاعا عن المبدأ ولا نبيع المبدأ بشيكات بلا رصيد .

فالامة العربية التي اطاحت بأيدن فهي ولا شك ستعرف كيف تؤدي بشاه ايران تلميذ ايدن . الذي لا يقل خطره على القضية العربية عن خطر اركان الاستعمار : لندن — تل ابيب .

● كمال فطناني — الغبيري — بيروت

اخي النازح
هل لاحظت يا اخي ...
اعداؤنا في مختلف بلاد العالم يتجمعون
ونحن في مختلف الاقطار تائهون .
فكر يا اخي ... وارسم الطريق ...
وابدأ العمل
فالنكبة والتشرد عار .. ولا بد لنا
من ان نغسل العار ...
فلنتقدم لغسل العار ...
لنتقدم للعودة ...

● صالح محمد — الرشيدية — صور

سبعة عشر عاما ونحن مشردون ، وبالمخيمات ساكنون .

سبعة عشر عاما مرت ونحن راقدون الطفل يسأل « اين موطني » الشاب يسأل « متى المعركة » الشيخ يسأل « متى ستحرر فلسطين ، لن اموت الا بفلسطين » . نحن لك بالمرصاد يا اسرائيل . سنحمل السلاح ونحارب . سنعود حتما رغم انف الغاصبين .

قف يا اخي واهتف باسم فلسطين. قف يا اخي واهتف اننا عائدون قريبا. قريبا ستطهر هذه الارض موطن الآباء والاجداد من هذه العصابة قريبا سيرفع علم العروبة على اسوار عكا وحيفا ويافا والقدس .

● ماجد عبد الرزاق — مدرسة غزه — بيروت

اليك يا قائد نهضتنا العربية الجديد
اليك يا محرر العرب من الاستعمار
اليك يا من آمنت بالقومية العربية
واتخذت منها رمزا لجهادك وكفاحك
المرير في الحياة الدنيا
اليك يا قاهر الاعداء من فرنسيين
وانكليز واسرائيليين في بور سعيد
وسيناء
اليك يا مبعد الرجعيين الاقطاعيين من
ارض الكنانة
اليك يا من ايقظت العرب من غفلتهم
اليك يا من جعلت من الشعوب
العربية متراسا تحرق المارقين
وتصد المستعمرين واذنابهم
اليك يا جمال عبد الناصر
فلسطيننا بانتظارك واننا لعائدون .

● ● ●

وكتب احمد محمد طه تحت عنوان
« فداء فلسطين »
وشعبها لن يستكين
وقلبه قاسي كالحديد
ويوم العودة قريب
وليس الغد ببعيد
وهناك نقيم الافراح
ويصبح بعدها عيد

الشهيد

(بطولة الشهيد ابراهيم موسى الحصري)

كانت سرية من قوات الجهاد المقدس متمركزة في قرية المجيدل قضاء الناصرة وكان عدد كبير من ابناء القرية المسلحين يقفون جنبا الى جنب مع قوات الجهاد المقدس لصد اي هجوم وكانت تحيط في هذه القرية عدة مستعمرات اسرائيلية منها مستعمرة نهلال — وجباتا وخنيفس وغيرها .

وفي صباح ١٩٤٨/٧/٥ وفي تمام الساعة الثامنة صباحا قامت قوة اسرائيلية كبيرة تساندها خمسة دبابات اسرائيلية ونصف جنزير ثلاثة بشن هجوم عنيف على قرية المجيدل وقد تصدت لها قواتنا واصلتها نارا حامية بقيادة البطل الشهيد «دياب الفاهوم ابو موسى» وقد استمرت المعركة حتى الساعة الثانية بعد الظهر دار خلالها قتال عنيف استبسلت فيه قواتنا وارغمت العدو على الانسحاب تاركا ورائه ثمانية وستون قتيل وعدد كبير من الاسلحة والذخيرة والقنابل اليدوية وكنا قد سيطرنا على الشارع الاسفلت الذي تمر عليه السيارات الى مدينة حيفا .

وكان بين افراد المناضلين البطل الشهيد ابراهيم موسى الحصري من قرية صفورية الذي ابلى البلاء الحسن اثناء المعركة وابى الا ان يخرج من موقعه والمعركة في اوسع ابوابها وفي يده مدفعه الرشاش وهجم على دبابة اسرائيلية من الدبابات والقى داخلها قنبلة يدوية كانت كافية للقضاء على جنود الدبابة السبعة وضابطها المدعو شراكا موسى كوهين وبعد انسحابه اصابته طلقة رشاش في صدره سقط شهيدا يوقع في دمه الطاهر على ارض فلسطين الحبيبة اروع امثال البطولة والتضحية والفداء .

يوسف عثمان قطان

فلسطين ملحق المحرر
صاحبها هشام ابو ظهر
رئيس تحريرها غسان كنفاني
مديرها المسؤول فيصل السماك
المشرف الفني نبيل ابو حمد
تصدرها : المؤسسة الصحفية للنشر والانتاج
العنوان : بيروت بناية اللعازارية 3 - A
ص . ب ٥٣٦٦ - هاتف ٢٥٣٧٠٠ - ٢٥٨٢٦١ - ٢٣٥٩٥٢
طبعت على اوفست مطابع منطورة

اول صورة تنشر في الوطن العربي عن آخر هجوم قام به فدائيو العاصفة داخل الارض المحتلة حيث تمثل اماكن الانفجارات التي تمت في الارض المحتلة والتي تمثل الانفجار الرابع الذى وقع في مستعمرة كفار هس التي تبعد ميلين غربي حدود مدينة شارون ، وقد اعترفت المصادر الاسرائيلية بان هذا هو الحادث الرابع الذى وقع منذ ان بدأت العاصفة بالقيام بالاعمال الفدائية بالارض المحتلة . وقد قامت قوات العاصفة بوضع ثلاث شحنات من المتفجرات في مستعمرة كفار هس أدت الاولى والثانية الى نسف بيت ومزرعة ، اما الشحنة الثالثة فكانت خطيرة ادت الى هروب السكان . ويبدو في الصورة جانب من الدمار الذى احدثته الشحنة الثالثة .

ادعاءات اسرائيلية

بقلم خالد ابراهيم بعباع
رئيس مكتب جامعة الدول العربية في جنوب الولايات المتحدة

استغل الصهيونيون ذريعة المساواة والتضامن فقالوا ان اسرائيل هي الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط ، وان ديمقراطية اسرائيل مشابهة لديمقراطية الولايات المتحدة ، ولذلك — من بين الاسباب الاخرى — يتوجب على الاخيرة مساندتها والدفاع عنها .

ويذهب الصهيونيون مذهبا آخر لاقناع شعب الولايات المتحدة بضرورة تأييد اسرائيل والوقوف معها ضد اعدائها العرب ، وهذا الادعاء يقول بأن اليهود جعلوا من فلسطين ارضا يانعة ، وبالتالي فهم احق بامتلاكها من العرب «المتأخرين» و «الكسالى» حتى ان الصهيونيين فعلا يصورون العرب الذين قطنوا فلسطين بان اغلبيتهم الساحقة من البدو الرحل الذين لم يستوطنوا الارض ولم يستثمروها .

حاسة الانسانية للاعجاب والفخر ، من اهم الحواس التي تؤثر في الانسان عندما تتمشى بطبيعة الحال مع ذريعة المساواة والتضامن . فاذا كان الامريكي يفخر بانه عمل جاهدا لازدهار بلاده ، فلا بد ان يقدر شعبا آخر قام بنفس العمل ولديه نفس الشعور بالفخر نتيجة لانجازاته الفعلية .

من هنا نرى ان الصهيونية في دعايتها تعمل دوما على اساس علمي واضح ، وبموجب مخطط مدروس ، وتستغل جميع العوامل في المجتمع المعين للوصول الى اهدافها ، واذا ما كرر هنا ان الرأي العام في الدول الديمقراطية له اكبر الاثر في تكوين السياسة الخارجية لمثل هذه الدول ، تبين لنا مدى الآثار العميقة الناتجة عن كسبه في هذه الدول ، خاصة وان الدعاية معترف بها كسلاح فعال من جملة الاسلحة الاخرى التي تستعملها الدول الواعية للوصول الى مصالحها والرفع من شان امتها .

ان اسرائيل بحد ذاتها هي مثل واضح — وربما كان صارخا — يقدمه المختصون في الدعاية والنشر لنجاح فكرة غير منطقية وغير عادلة ، وذلك بدعم هذه الفكرة بطرق علمية واعية في ميادين مختلفة،وانتهاز جميع الفرص والاحوال لانجاحها .

وبالرغم من وجود عوامل تاريخية ودينية واجتماعية وسياسية هنا بالاضافة الى الصهيونية التي تعمل جميعها جاهدة للحد من الدعاية العربية وانجاحها ، الا انه يوجد سبب منطقي ـاع ، لعدم نجاح الدعاية العربية ومقاومتها للعوامل العديدة ، التي تقف ضدها ، خاصة اذا ما صدقت العزيمة ووضح الهدف .

اقول هذا لا لانني ارغب في الابتعاد سيرا عن الموضوع المعين لهذا المقال ، ولكنني اود ان اكرر انه بارغم من ان القضية الصهيونية مفتعلة من اساسها وواهية ، الا ان الصهيونيين تمكنوا من اخراجها الى حيز الوجود ، واقناع الرأي العام الامريكي بها حتى كاد يفهم بان ما تدعيه الصهيونية هو كل الحقيقة ، وان اي رأي آخر حول موضوع اسرائيل وقضايا الشرق الاوسط الاخرى هو رأي متطرف لا يستحق الالتفات اليه في كثير من الاحوال. الا ان الدعاية العربية تمكنت من اثبات وجودها في هذا الشأن ، وذلك باقناع الرأي العام ان هناك وجهة نظر اخرى حول هذه المسائل المتشابكة يجدر الاستماع اليها وتقديرها واعطاءها فرصة التعبير عن نفسها في مجتمع يؤمن عادة بحرية الفكر وتعدد الآراء .

ولنعود الآن الى صلب موضوع البحث ، وهو ما تدعيه اسرائيل من تراث الانسانية ولان الاخيرة تهب هذا الجزء لمن يستفيد منه اكثر ، ويجعل منه منطقة مزدهرة لفائدة البشرية جمعاء !

ان ادعاء الصهيونية هذا يستند على عدة فروض ، بعضها لا يخلو من بعض الحقيقة ، ولكن هذه الحقيقة وضعت بقالب وقدمت بشكل يجعل منها افتراء وبهتانا ، بعض الحقيقة ، هي ان اليهود تمكنوا من انعاش المنطقة التي كانوا يحتلونها قبل الانتداب البريطاني على فلسطين والتي بلغت ٢ في المئة فقط من مساحة فلسطين و ٧ في المئة عند انشاء اسرائيل عام ١٩٤٨، كما انهم تمكنوا من انعاش اسرائيل بعد احتلالها . الا ان الجزء الآخر من الحقيقة يقول بان العرب قاموا بمجهودات جباره لتقدم بلادهم وانشاء مختلف المشاريع التي اعترف لهم العالم اجمع بفعاليتها وخيرها ، بالرغم من العوامل الكثيرة التي تعمل في المنطقة وخارجها على عرقلة واعاقة التقدم . وهذا بطبيعة الحال غير موجود في اسرائيل . كما ان تقدم اسرائيل هو تقدم نسبي وكيفي وليس تقدم نوعي ، بالاضافة الى ذلك فان تقدم اسرائيل هو نتيجة طبيعية لاسباب غير طبيعية ، ولذا لا يمكن عزوه لتفوق اليهود الطبيعي على العرب ان اسباب تقدم اسرائيل غير الطبيعي يرجع للاسباب التالية .

١ — ان كثيرا من اليهود الذين جاءوا الى اسرائيل قبل انشائها وبعده، جاءوا من بلدان متقدمة حضاريا وفنيا، ولذا نجد اليوم في اسرائيل عددا كبيرا من الفنيين والخبراء لا يتناسب مع عدد الفنيين والخبراء في البلدان المتطورة ، اي ان اسرائيل نفسها لم تتكلف شيئا ولم تعمل على خلق هذه الكمية من الخبراء ولكنهم وجدوا خارج اسرائيل ونزحوا اليها . هذا بالاضافة الا انه بينما كانت اسرائيل تتقدم بنتيجة لهذا العامل ، كانت البلاد العربية تستفيق من كابوس الحكم التركي الطويل وغيره من استعمار بريطاني وفرنسي وايطالي .

٢ — لقد حصلت اسرائيل منذ تأسيسها حتى الآن على حوالي ثلاثة بلايين دولار من امريكا وحدها، باستثناء التعويضات الالمانية والمنح والهبات والمساعدات الاخرى من دول عدة . وهذه المبالغ الباهظة التي لم تحصل عليها اسرائيل مقابل صادرات اسرائيلية او ناتج اسرائيلي ، وانما اضيفت هذه المبالغ الطائلة كهبات لتنشيط ، بل لخلق اقتصاد اسرائيل المفتعل ، وان اي تقدم اقتصادي في اسرائيل سببه الرئيسي هذه الهبات ، وليس اجتهاد اليهود وكدهم . ولذا يمكن القول بحق انه اذا كانت اسرائيل قد قدمت المنطقة المحتلة اكثر مما عمل العرب على ازدهار اقطارهم ، ففي رأيي ان ذلك يرجع الى الاسباب الآنفة الذكر . فاذا ما انقصنا هذين العاملين من الاقتصاد الاسرائيلي فالنتيجة الحتمية تكون ، ان العرب تقدموا اقتصاديا اكثر من اسرائيل . الا ان اسرائيل تمكنت من اقناع العالم وخاصة الولايات المتحدة بتقدمها وازدهارها ، ولم يتمكن العرب بتأثير الصهيونية بشكل خاص على وسائل الدعاية ، من ابراز حقيقة تقدمهم .

ان بعض ما تقدم يذكرني بما كتبه الدكتور الحاخام المر بيرجر وهو نفسه يهودي امريكي ويرأس المجلس اليهودي الامريكي المناوىء للصهيونية ، في كتاب نشره بعد زيارته لاسرائيل وبعض البلدان العربية عام ١٩٥٥ بعنوان « الذي يعرف اكثر يجب ان يقول ذلك » . لقد اورد الدكتور بيرجر في كتابه في الصفحات (١٠٣ — ١٠٤) ما نصه بالحرف الواحد . اود ان اقول بوضوح تام انني رأيت الصحراء اليانعة والمدن الحديثة ومشاريع الري والمجاري وكل ما تدعيه الصهيونية في امريكا من هذا القبيل ، ولكني اقولها بصراحة ان جميع هذه المشاريع يوجد اضخم منها في البلدان العربية ، ان هذه الحقيقة لا تقلل من اهمية الموجود في اسرائيل ولكنها تكذب الافتراء الصهيوني الاسرائيلي بان اسرائيل هي الامل الوحيد في الشرق الاوسط .

٣ — ان اهمية الانجازات الاسرائيلية يمكن الاقلال من اهميتها جدا ، اذا ما عرف ان اسرائيل هي معهد عطاء وصدقة اكثر من اي دولة حيث راسمالها يكون من صدقات وهبات من الولايات المتحدة والنداء اليهودي الموحد والتعويضات الالمانية والسندات ورأس مال مستثمر على اساس عاطفي اكثر منه اقتصادي ، ومع كل ذلك فهذه المبالغ الطائلة غير كافية فيه ، اذ ان ميزان الدفع التجاري ما زال مهلهلا والبضائع الاستهلاكية التي يتمكن اليهودي الحصول عليها ما زالت من نوع رديء .

ذكرت الصحف الاسرائيلية ان الكيرن كايمت شقت طريقين على الحدود ، احداهما شمال القدس المحتلة حتى باب الواد والثانية جنوبها من قرية العنب حتى مستعمرة نحوشا على حدود منطقة بيت جبرين . وطول هذين الطريقين (١٥٠) كيلومترا ، ويستهدف فتحها انشاء (٤٥) مستعمرة حول القدس المحتلة ، بدلا من ست مستعمرات من مجموع المستعمرات التي كانت في هذه المنطقة قبل قيام الدولة الغاصبة .

١٠ نيسان
عام ١٩٤٨

المعركة التي ارادها

ابطالها حافزاً للبطولة والانتصار فحولها جهل الدعاية الى حافز للرعب والهزيمة

تشكل مذبحة دير ياسين احدى علامات المعركة الفلسطينية الرئيسية ، وتعتبرها الاوساط الاسرائيلية نقطة التحول الحاسمة في القتال ، حيث استطاعت « الهزيمة السايكولوجية » ان تؤدي مباشرة الى الهزيمة العسكرية .

وان كانت دير ياسين قد انطبعت في الذهن العربي كمجزرة رتكبها الصهاينة فان الجانب الآخر من دير ياسين ، وربما الجانب الحقيقي اكثر ، هو البطولة التي ما تزال صفحة مطوية من تاريخ هذه القرية الباسلة : ان قلة قليلة فقط تعرف ان المهاجمين اليهود تكبدوا من الخسائر ، في معركة دير ياسين اكثر مما تكبد سكان القرية الذين ذبحوا عن آخرهم وسدت باجسادهم المقطعة آبار الماء في القرية .

ان قيمة دير ياسين الحقيقية يجب ان تؤخذ من مجموع الاحداث التي وقعت في ذلك اليوم الدامي من نيسان ١٩٤٨ ، الا ان فقدان عنصر التنظيم الدعاوي والسايكولوجي من قبل العرب في معركة فلسطين قد جعل من كارثة دير ياسين ، في نهاية المطاف ، نقطة سلبية في حرب فلسطين رغم انه كان من الممكن التوصل الى جعلها نقطة انطلاق ايجابية في المعركة .

لقد حولت « الدعاية » العربية والعفوية وذات الطابع الميال الى المبالغة ، حولت دير ياسين الى حلقة ندب وعويل ورعب ، الامر الذي لم يفكر به للحظة واحدة سكان دير ياسين انفسهم الذين كان بوسعهم مغادرة قريتهم بهدوء ، او الاستسلام بخنوع ، ولكنهم صمدوا طوال نهار ١٠ نيسان ١٩٤٨ وهم يعتقدون ، اغلب الظن ، ان صمودهم وبطولاتهم وتضحياتهم ، رجالا ونساء ، ستجعل من دير ياسين رمزا للانتصار وحافزا له ، وليس رمزا للهزيمة وحافزا لها .

ولكن الاحداث تزاحمت بصورة هائلة ، واتى ازدحامها في وقت كانت القيادات السياسية والعسكرية التقليدية في فلسطين وخارجها غير مهتمة اطلاقا بقيمة الاداة النفسية في القتال بينما كانت الصهيونية العالمية ، في الداخل والخارج ، تخطط على اساس الاستفادة الى ابعد مدى من السلاح السايكولوجي الذي تزداد فعاليته حين لا يجد في المقابل الا الفراغ والارتجال وانعدام المقاومة .

ان الاحداث التي تتالت في تلك المرحلة الزمنية الحاسمة من المعركة الفلسطينية ، وشكلت انعطافا بارزا في مجرى تلك المعركة ، يمكن حصرها كما يلي :

ـ اولا : مذبحة دير ياسين والقصص التي اسهمت الدعاية الصهيونية في تكبيرها حول هذه المذبحة وحول اهالي هذه القرية الذين « ذبحوا كالنعاج » بينما كانت الحقيقة الجديرة بقلب الموقف راسا على عقب وهي الحقيقة التي لم يكترث احد بنشرها آنذاك هي ان اهل دير ياسين لم « يذبحوا كالنعاج » ولكنهم دفعوا حياتهم ثمنا شريفا وبطوليا في ساحة القتال لمعركة غير متكافئة ابلوا فيها بلاء لم تقدر قيمته حتى الآن

ـ ثانيا : استشهاد عبد القادر الحسيني ونفر من اشجع مقاتليه في معركة القسطل بعد ذلك بيومين فقط لتتكرر القصة ذاتها التي انتشرت في عقاب معركة دير ياسين وهي ان القائد الوحيد الذي كان مرشحا لقيادة كفؤة لفلسطين قد قضى بلا ثمن ، بينما كانت الغاية الرئيسية من معركة القسطل ، كما اثبتت روايات موثوقة ، هي تحقيق اندفاع فلسطيني هجومي ، وليس تحقيق نكسة ، كما حصل .

ـ ثالثا : بدء اليهود بتنفيذ خطتهم الشاملة ، خطة دالت ، مباشرة في هذه الظروف وبصورة تعتمد اعتمادا شبه كلي على انعدام التنظيم المضاد في الجبهات العربية واعتماد هذه الجبهات على مبدأ الاشتباك وليس مبدأ الهجوم

ومن قلب ذلك التراجع على كافة الجبهات العسكرية والسياسية والنفسية الذي حدث في ذلك الاسبوع من نيسان ١٩٤٨ برز يوم ١٠ نيسان « كيوم الشهداء » ، ليتحول حتى الآن الى «يوم» آخر يضاف الى ايام فلسطين العديدة التي تسجل الكارثة كل عام من فوق منابر الخطابة والمهرجانات .

★ ★ ★

فما الذي حدث في دير ياسين ، عمليا ، يوم ١٠ نيسان من عام ١٩٤٨ ، كما يمكن ان يراه باحث بعد مرور ١٧ عاما على ذلك اليوم ؟

لقد كانت « دير ياسين » كما استعملتها الصهيونية ، سلاحا ذا حدين : واذا كان حدها الاول «مفيد» في الحرب السايكولوجية ضد الفلسطينيين فان حدها الآخر «يسيء» دعاويا للصهيونية على صعيد عالمي .

ولذلك كانت دير ياسين ، حتى بعد انشاء اسرائيل ، مادة حوار اساسية في اوساط الحكم الصهيوني في محاولة لتنصل الاطراف المسؤولة من مسؤولياتها ، بعد ان انتهت الفائدة من استعمال احد حديها .

لقد حاول بن غوريون ان يتنصل من الحادث (وبصورة خاصة ذبح النساء والاطفال بعد تعذيبهم اثر انتهاء المعركة) والقاء تبعة هذا الحادث على ارهابي الارغون . ولكن هذه المحاولة كانت تصطدم دائما بالحقائق .

ولنتابع القصة من اولها .

★ ★ ★

يوم ١٠ نيسان ١٩٤٨ ..

قرية صغيرة تقع غربي مدينة القدس اسمها دير ياسين . القرية الهادئة تعيش صامتة دون ان تدري ما الذي يحدث حولها من اعدادات ..

السفاح اليهودي مردخاي توفمن قائد قوات عصابة الارغون في القدس يتفق مع دافيد شالتئيل قائد قوات عصابتي الهاجاناه والبالماخ في القدس على القيام بعمل مشترك ضد قرية دير ياسين .

الساعة الرابعة صباحا : المقاتلون اليهود يتجهون الى القرية النائمة .

عدد سكان القرية الموجودين فيها آنذاك حوالي المئة .. القوات اليهودية المتحركة نحو القرية :

- ● ١٢٠ مقاتلا ..
- ● ١٢ رشاشا ..
- ● وحدة مدفعية هاون عيار ٢ انش للتمهيد .
- ● وحدتا مدفعية هاون عيار ٢ انش للتغطية .
- ● جهاز اسعاف كامل .

القوات اليهودية تصل الى القرية النائمة في الساعة الرابعة صباحا . فتشتبك مع مقاتليها اشتباكا ضاريا يتحول الى قتال بالسلاح الابيض .

عصابة البالماخ تساند المهاجمين بوحدتي مدفعية .. وتغطي عملية الانسحاب .

الساعة الخامسة مساء تنتهي المعركة .. مقاتلو الارغون يسلمون القرية الى قيادة الهاجاناه .

الهاجاناه ترفع العلم اليهودي فوقها

★ ★ ★

صباح اليوم التالي :

الاذاعات العربية ومصادر النشر تتحدث عن المجزرة الرهيبة .

الخبر يضخم ويكبر كلما اتسع .

القرى المجاورة تهجرها النساء والاطفال والفوضى تعم .

الخبر يتسرب الى الخارج ويحدث ضجة عالمية ..

الوكالة اليهودية تخاف على سمعتها فتنكر ان يكون لها صلة بالحادث وتنفي مساهمة البالماخ في العملية ..

مردخاي كوفمن يعلن امام لجنة الاستئناف اليهودية عام ١٩٥٢ :

« ان الحملة قد دبرت ونفذت بالاتفاق بيني ـ بصفتي قائد قوات الارغون في القدس ـ وبين دافيد شالتئيل قائد قوات البالماخ والهاجاناه » .

الوكالة اليهودية تعلن في الداخل : « اننا لم نشترك مع الارغون في حادث

دير ياسين

دير ياسين . وكل ما في الامر ان قائد حملة الارغون طلب منا ان نساند الحملة في التغطية على انسحابها من القرية وهي تحمل جرحاها . فاستجبنا لطلبه وغطت احدى وحدات البالماخ على الحملة عند انسحابها من القرية .. هذا هو كل الدور الذي قمنا به في عملية دير ياسين » .

التقارير التي اذاعتها الوكالة اليهودية في انحاء العالم الخارجي انكرت قصة التغطية باجمعها وغسلت ايديها نهائيا من الجريمة .

مردخاي كوفمن يصر :

« خلال المعركة اجتمعت مع شالتئيل قائد الهاجاناه والبالماخ ـ في مستعمره جبعات شاوول البعيدة بضع مئات من الامتار فقط عن مكان المعركة . وكان دوي القنابل وازيز الرصاص في دير ياسين يعصف بآذاننا . فعرض علي المعونة بالرجال والسلاح اذا كنا في حاجة الى ذلك فاجبته بان رجالي يقومون بمهمتهم خير قيام وهم في غير حاجة الى معونة .

وبعد المعركة سلمت القرية للهاجاناه حسب الاتفاق .. » .

الوكالة اليهودية ـ التي صار اسمها بعد ١٩٤٨ « حكومة اسرائيل » ـ تحاول ان ترفع الوصمة عن البالماخ ـ التي تحولت بعد ١٩٤٨ الى « جيش اسرائيل » وعن زعيم الهاجاناه دافيد بن غوريون فتحاول ان تلصق التهمة بالارغون وبزعيمها منحيم بيغن ـ الذي تحول الى نائب وتحولت عصابته الى حزب حيروت .

الصحافة اليهودية تعلن ان عصابة الارغون حين انسحبت من دير ياسين اعلنت ـ كالعادة ـ انها « لم تحرز شرف الانتصار في المعركة الا بمساندة وحدتين من مدفعية البالماخ » « حكومة اسرائيل » اخيرا تنفق على لفلفة القضية ونسيانها .

ولكن ما الذي حدث بين الساعة الرابعة من صباح ١٠ نيسان ١٩٤٨ والساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم ؟

الحامية الصغيرة من الرجال قاوموا ـ على قلة عددهم وعتادهم ـ ببسالة منقطعة النظير .

اليهود يدخلون القرية ليبدأوا مذبحة انتقامية ..

قتل جميع السكان تقريبا.. النساء والاطفال والشيوخ ـ وكان الرجال الشباب قد استشهدوا

قتل اطفال المدرسة الوحيدة في دير ياسين امام عيني معلمتهم المبعوثة من يافا الآنسة حياة بلابسة الى دير ياسين ثم قتلت هي والقيت الاجساد في البئر ذاته .

معظم الجثث عليها آثار التعذيب الطويل قبل الموت ـ كان لدى اليهود متسع من الوقت ليعذبوا النسوة مطولا ـ عدد القتلى ـ نساء واطفالا وشيوخا ـ ٩٩ نسمة .

حياة سالم

معلمة مدرسة الاناث فى قرية دير ياسين تخرجت من دار المعلمات بالقدس • قتلها اليهود بينما كانت تضمد جراح الجرحى من أبناء القرية ، يوم غدر اليهود بهم وهاجموهم واحتلوا قريتهم • وكان ذلك فى يوم الجمعة الموافق ٩ نيسان (أبريل) ١٩٤٨ •

القسطل

ابراهيم ابو ديه

لكي تتمكن القوات اليهودية من تموين مئة الف يهودي في القدس والذين كانوا كما قال شرتوك في مجلس الامن على وشك الموت جوعا . قامت قوات البالماخ اليهود بهجوم اولي في ٣ نيسان عام ١٩٤٨ على قرية القسطل ونشبت معركة ضارية بين قوات البالماخ الكبيرة ومناضلي القرية القليلي العدد انتهت بسقوط القسطل بيد عصابة البالماخ .

● اثار نبأ سقوط القسطل ثائرة عرب القدس ومن حولها لما لهذه القرية من مركز استراتيجي يشرف على طرق مدينة القدس نفسها ويفتح نافذة تستطيع القوات اليهودية منها تموين اليهود المحاصرين آنذاك في مدينة القدس .

● بدأ الهجوم العربي الاول لاسترجاع القسطل من قوات البالماخ يوم ٤ نيسان عام ١٩٤٨ ، فطوقها المناضلون من نواحيها القبلية الشرقية ، والشمالية الشرقية ، واحتلوا التلال الواقعة بينها وبين عين كارم ، وقد احتلوها بعد قتال عنيف خسروا فيه ثلاثة قتلى وخمسة جرحى وخسر اليهود خمسة وعشرين قتيلا.

● وفي اليوم الثاني ٥ نيسان نسف العرب الجسر الكبير القريب من «قالونيا» لئلا يتمكن يهود القدس والمستعمرات القريبة المجاورة لها (كجبعات شاؤول ومنتفيوري وبيت هاكيم) من نجدة اليهود في القسطل ، الا ان اليهود تمكنوا من تعميره قبل ان تغيب شمس ذلك النهار .

● وفي اليوم الثالث ٦ نيسان هاجم العرب بقيادة كل من كامل عريقات وابراهيم ابو ديه وحافظ بركات محاجر الباشار فنسفوها كما نسفوا الاستحكامات التي اقامها اليهود من حولها ، وقتل وقتها من اليهود عددا ينوف على المئة وجرحوا آخرين . ولكن ذخيرتهم نفذت عند الظهيرة ولم يكن معهم سوى مدفعين من طراز برن ومدفع هاون من قياس ٣ بوصات وسبع عشرة قنبلة وثلاثة الغام . ويظهر ان اليهود شعروا بذلك ، فقاموا بهجوم معاكس ، يهدفون من ورائه الى صد الهجوم عن القسطل والاحتفاظ بها مهما كلفهم ذلك من ثمن . ولقد عزز اليهود هجومهم بالمصفحات واتتهم نجدة ايضا من مستعمرتي عطاروت والنبي يعقوب ، فراح هؤلاء يشددون الخناق على القرى العربية المجاورة ليمنعوهم من نجدة اخوانهم المناضلين في قطاع القسطل ، فتطورت المعركة تطورا لم يكن في مصلحة العرب واستشهد خمسة من مناضلينا وجرح وكيل القائد كامل عريقات وقد طلبت نجدات عربية من القرى والمدن المجاورة الا ان الجميع كانت تنقصهم الذخيرة ولهذه الاسباب انسحب المناضلون .

● وفيما كان عبد القادر الحسيني في اجتماع « القادسية » اتاه نبأ سقوط القسطل بيد اليهود فتألم عبد القادر ورجع فورا الى القدس من سوريا بعد ان فشل في احضار الذخائر والسلاح المطلوب من اللجنة العسكرية المسؤولة في دمشق .

● بدأ الهجوم الاخير يوم ٧ نيسان بعد ان قام البطل عبد القادر الحسيني بوضع المخطط اللازم لاحتلال القسطل وبدأت المعركة اوجها في الحادية عشر من مساء ذلك اليوم وقد لاقى المناضلين نقصا فادحا في الذخيرة فتراجعوا مع العلم ان عددا كبيرا منهم قد جرح في هذه المعركة الغير المتكافئة وبقوا على هذه الحال حتى فجر ٨ نيسان حين صاح النذير ان عبد القار وصحبه مطوقون بالاعداء وان معركة القسطل تكاد تنتهي بالفشل . فقام سكان القدس والمدن المجاورة لها بنجدة القسطل وقد وصل عدد المنجدين الى حوالي الخمسمائة مناضل الا ان عدد وعدة اليهود كانت اكثر . وقد قام المنجدون بحركة التفاف حول القسطل من الجنوب الى الشرق فالشمال وهنا التقوا بالمناضلين الذين جاءوا لنجدتهم من الشمال فانقض الفريقان على القسطل انقضاض الصاعقة فدخلوها مهللين مكبرين وبعد تطهيرها من الاعداء رفع العلم العربي على اعلى بناية فيها وكانت الساعة آنذاك قد دقت الرابعة من مساء الخميس الثامن من نيسان عام ١٩٤٨ .

● ومع فرحة النصر والابتهاج بالفرح شاهدوا جثة البطل عبد القادر الحسيني ملقاة على الارض بجانب اول بيت من بيوت القرية في الطرف الشرقي مما كان يدل على انه اول من اقتحم القرية .

امريكا واسرائيل

ذكرت (هآرتس) (١٩٦٥/٣/٢٥) ان البرامج الاميركية للمساعدات الخارجية للعام المالي القادم التي قدمت الى الكونغرس الاميركي تشير الى ان اسرائيل ستحصل على مواد زراعية اميركية كقرض طويل الاجل يسدد بالدولارات بدلا من العملة الاسرائيلية . وذكرت ان اسرائيل ستحصل حتى نهاية السنة المالية المنتهية في ٣٠ حزيران القادم على فائض زراعي اميركي قيمته ٣٣ مليون دولار ثم دفعه بالعملة الاسرائيلية ثم أعيد لاسرائيل كهدية من اميركا لغايات الاصلاح والتطوير . وتبلغ قيمة الفائض الزراعي الذي ستحصل عليه اسرائيل في العام المالي القادم ٣٠ ميلون دولار يعطى كقرض لمدة ٢٠ سنة .

الصراع العنصري في أسرائيل

ذكرت (هآرتس) (١٩٦٥/٣/٢٥) ان الخصومة بلغت ذروتها بين السفارديم (اليهود الشرقيين) والسكناج (اليهود الغربيين) في صفد . وقد رجم السفارديم الشرقيون مكاتب المجلس الديني بالحجارة وعلى اثر هذا الحادث بعث الياهو ساسون ، وزير البريد ، وهو من اليهود الشرقيين ، بمذكرة الى اشكول هذا نصها :

« اكرر رجائي اليك ، بجميع اساليب الرجاء ، وقبل ان يتوتر الوضع اكثر فاكثر ، فيتطور الى حرب داخلية بين الاخ واخيه ، بأن تبادر فتولي النزاع القائم في صفد اهمية جدية خاصة تبرر تدخلك السريع فتعمل ، بأسرع ما تستطيع ، على القضاء على هذا النزاع بطريقة يطمئن اليها الرأي العام لليهود الشرقيين ، وتبرهن لهم على وجود العدالة والسلطة في اسرائيل . »

ويتزعم « ثورة » اليهود الشرقيين في صفد الحاخام دافيد ديان ، وهو شاب في السنة الثانية والثلاثين من عمره ، ضد الطائفة الاشكنازية (اليهودية الغربية) فيها ، وحاخامهم الحاخام كبلان ، الذي يعارض في تعيين حاخام لليهود الشرقيين في صفد . ويؤيد اليهود الشرقيين في ثورتهم الوزيران الشرقيان الياهو ساسون ، وزير البريد ، وبخور شتريت ، وزير الشرطة.

وقد نظم اليهود الشرقيون في صفد اكثر من مظاهرة واحدة وكانوا يهتفون فيها هتافات تشير الى مظاهرات وادي الصليب في حيفا ، وهي مظاهرات نظمها في الماضي مهاجرو يهود مراكش الشرقيين ضد يهود اسرائيل الغربيين .

بعد مرور ١٧ عاماً على البدء بتنفيذها

خطة دالت

الخطة الصهيونية الأساسية لاحتلال فلسطين

بقلم
وليد الخالدي

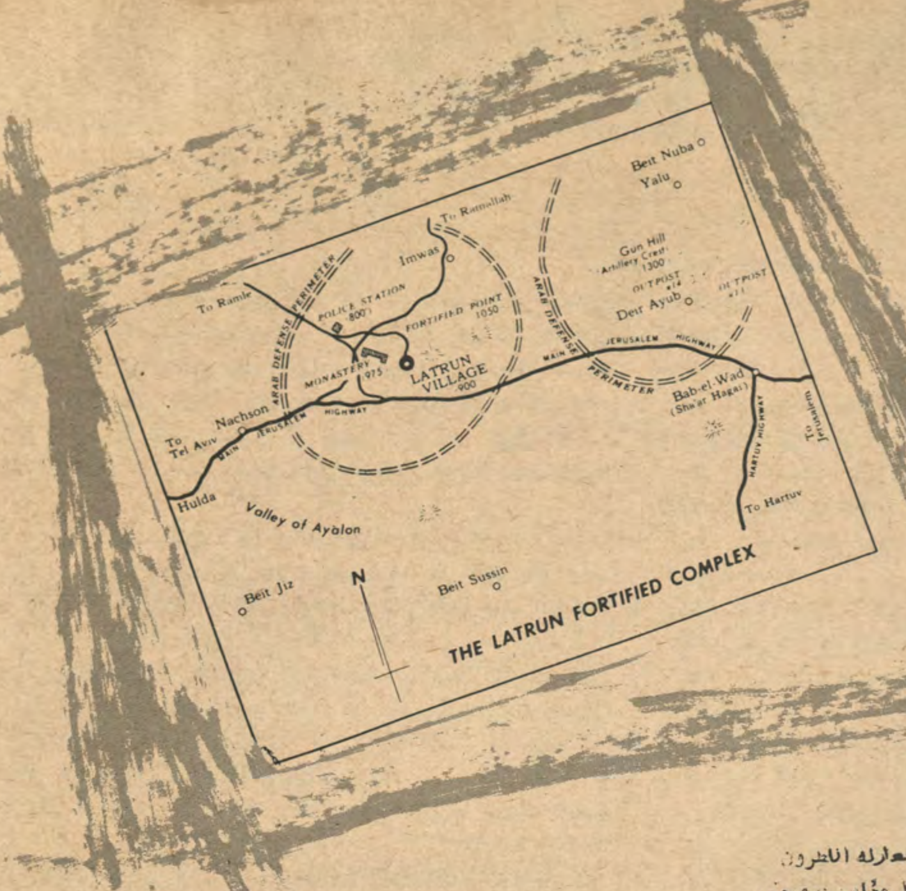

● مخططات معارك اللطرون كما رسمها مؤلف صهيوني

بانتهاء آذار ١٩٤٨ ودخول نيسان ١٩٤٨ بدأت عمليا ، وبغض النظر عن التواريخ الدراماتيكية الاخرى ، كارثة فلسطين .

الآن يكون قد مر على ذلك التوقيت الحاسم ١٧ عاما ، ورغم ذلك فانه شيء يثير الاستغراب (والاسف) ان محاولة علمية لدراسة ما حدث في تلك الاسابيع الحاسمة الممتده من اول نيسان الى منتصف ايار لم تحدث بعد .

كيف تحرك اليهود في تلك الفترة الخطرة التي قررت مصير معركة فلسطين ؟ على ضوء اية خطة ؟ فوق اية احتمالات ؟ رغبة في اية نتائج ؟ هل كانت « المصادفات » هي سيده الاحداث آنذاك كما تحاول اقلام كثيرة ان تقول ؟

هذه الدراسة الاولى من نوعها التي كتبها الاستاذ وليد الخالدي بالانكليزيه (وترجمها فلسطين فيما يلي لاول مرة) تتناول تاريخ تلك الفترة وتلقي ضوءا هاما على ابعادها ومعانيها .

فلسطين

« خطة دالت » او « الخطة د » هي الاسم الذي اطلقته القيادة الصهيونية العليا على المخطط العام للعمليات الحربية ، وهو المخطط الذي كان الصهاينة يشنون هجماتهم المتتالية ضمن اطاره في نيسان واوائل ايار ١٩٤٨ في انحاء مختلفة من فلسطين تلك الهجمات الهادفة تفتيت البنية الاجتماعية لعرب فلسطين، كان مقدرا لها احداث واقع عسكري تقوم على اساسه دولة اسرائيل .

لم تتناول المصادر الانكليزية الصهيونية ، الا حديثا ، حقيقة وجود « خطة دالت » . لقد اعطى جون ودافيد كيمشي وصفا لهذه الخطة في كتابهما « صدام اقدار » . الا ان جون كيمشي ، اكبر المؤلفين ، في تخبطه وعمومياته ، قد حشر بين ضرورة تقدير الحقيقة وبين المتطلبات التكتيكية للدعاية الصهيونية .

وهناك كتاب صهيوني احدث ، بالانكليزية ، يشير بوضوح الى خطة دالت ، ذلك هو « حد السيف » لنتانئل لورتش . هذا المؤلف ، وهو اسرائيلي وعضو سابق في الهاجاناه ، كغيره من الاسرائيليين ، ليس كثير الحساسية تجاه الرأي العام . لذلك ، فان عرضه مباشر وواضح ، وان كان يجيد اختيار ما يعرض .

ويعتمد كل من كيمشي ولورتش كثيرا على المصادر اليهودية ، وبالتحديد : « هاسيفر هابلماخ » (كتاب البالماخ) الجزء الاول والثاني ، و « أون أورفوت » (معارك) ١٩٤٨ ، الكتاب اليهودي عن عمليات البالماخ والهاجاناه . ولكن لا كيمشي ولا لورتش يعترف باعتماده على هذه الكتب ولذلك فان الحصول على صورة واضحة عن « خطة دالت » لا يمكن ان يتم الا بمقارنة ما يعرضه كيمشي ولورتش بما ورد في « هاسيفر » و « اورفوت » .

● مشكلة الارض

ان دراسة « خطة دالت » مهمة بسبب الضوء الذي تلقيه على الظروف المحيطة بتدخل الجيوش العربية النظامية ونتائج هذا التدخل ، ومهمة بالنسبة لجذور مشكلة اللاجئين العرب . ان التفسير الصهيوني التقليدي لهذه المشكلة هو القول بأن عرب فلسطين قد تركوا ارضهم بناء على اوامر اذاعها قادتهم . ومع ان الصهاينة قد قللوا من التشديد على هذا الادعاء ، الا انهم لم يحذفوه . يشهد بذلك ترديد بن غوريون لهذا التفسير لمشكلة اللاجئين العرب في خطاب له في الكنيست .

لا داعي هنا للغوص في تفاصيل هذه المشكلة ، فقد برهن من قبل ان ادعاء الصهاينة بوجود اوامر عربية للهجرة هو ضرب من الاساطير . ما يلزم تأكيده هنا ، هو ان تشديد الصهاينة على وجود اوامر عربية بالهجرة تاكتيك دعاوي متعدد الاهداف : انه ينقل المسؤولية المعنوية تجاه اللاجئين الى العرب انفسهم ، ويضعهم في موقع دفاعي فيحملهم عبء ايجاد البراهين المضادة . وفوق كل هذا ، فان ذلك يحول الاهتمام عن الجوهر الى النتائج : عن المجرى الحقيقي لاحداث ١٩٤٨ في فلسطين الى دائرة مفرغة من الادعاءات والادعاءات المضادة .

ان المسلمات العقائدية لخطة دالت تنبثق من مفهوم الصهيونية بالذات .

شارك صهاينة القرن التاسع عشر في شرقي اوروبا القوميين الآخرين في ذلك الوقت بخصائص عديدة ، لكن بخلاف الحركات القومية الاخرى ، لم تكن الصهيونية لتمتلك ارضا تخصها . كان هم القوميين الآخرين اما الخلاص من سيطرة قوة اجنبية على ارضهم ، او انتزاع حقوق اكبر من مثل هذه القوى في ارضهم . لكن الصهاينة كانوا ، عمليا ، يبحثون عن الارض . كان الصهاينة يطمحون لامتلاك ارض وطبعها بما يدور في مخيلتهم . لكن ماذا اذا كانت هذه الارض ملكا لغيرهم ؟ كان على الصهاينة ان يواجهوا هذا السؤال منذ البداية . ونحن نعلم انهم قد قرروا منذ ايام هرتزل ان الجواب يكمن في نظرية « الاقل شرا » اي ان اية قساوة تفرض على اهالي الارض التي يختارونها تتضاءل اهميتها امام حل المشكلة اليهودية بامتلاك الصهاينة لتلك الارض . ولقد اصبح مقياس « الاقل شرا » (سواء طبق عن وعي او غير وعي) الحجة المعنوية للحركة الصهيونية ، وتقلص الى طمس لآلام ضحاياهم . فكان بامكان هرتزل ان يقول ، دون تأنيب من ضمير ، للاهالي الوطنيين في الارض المنوي اغتصابها : « اننا ننوي تهجير السكان الفقراء عبر الحدود وذلك بتأمين عمل لهم في البلدان المجاورة وحرمانهم اية فرصة للعمل في أرضنا » ! (من كتاب « الحقيقة عن فلسطين » لليونهارد ، في ليبرتاس سنة ١٩٦٠) . وهكذا ، ايضا ، ثم تأسيس هذا المبدأ في الصندوق القومي اليهودي الذي مول امتلاك الاراضي في فلسطين ، وحدد في دستور الصندوق مصير الارض التي يحصل عليها من العرب بأنها ستصبح « وقفا على اليهود » وان اليد العاملة العربية يجب الا تستعمل في الارض اليهودية .

● السياسة الصهيونية

واذا كانت مسلمات خطة دالت موجودة في مفهوم الصهيونية ، فان تثبيت الخطة له جذوره في الفكر الاستراتيجي الصهيوني . وان ارلوسوروف ، مدير الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية ، الهادىء ، المثقف ، الاصلاحي ، يلقي ضوءا ساطعا على هذا الجانب من القضية .

في ٣٠ حزيران ١٩٣٢ ارسل ارلوسوروف الى وايزمن رسالة سرية حدد فيها آراءه حول الاستراتيجية الصهيونية : فاشار الى ان السياسة الصهيونية يجب ان تخضع فقط « لميزان قوى الشعبين المتنازعين في البلاد » . ان المرحلة الحالية (اي ١٩٣٢) هي ان « العرب ليسوا اقوياء بحيث يدمروا مواقعنا لكنهم ما زالوا يعتبرون انفسم اقوياء بحيث يستطيعون تأسيس دولة عربية » . تتحقق المرحلة القادمة عندما « يصبح ميزان القوى الحقيقية بشكل يحول دون امكانية انشاء دولة عربية في فلسطين » . وستتبعها مرحلة اخرى « لا يستطيع العرب خلالها ان يحتملوا نمو البنية الاجتماعية اليهودية » . وسيتبع هذه مرحلة اخرى فيها « يكون ميزان القوى بين الشعبين قائما على قوى حقيقية وحل متفق عليه للمشكلة » . ان الامتحان الحقيقي للسياسة الصهيونية هو فيما اذا كانت المرحلة القادمة في هذا التسلسل ممكنة الوصول على اساس الاستراتيجية القائمة . وقد استنتج ارلوسوروف انه « في الظروف الراهنة لا تستطيع الصهيونية ان تتحقق دون مرحلة انتقالية تمارس الاقلية الصهيونية خلالها حكما ثوريا منظما ... وخلالها يكون جهاز الدولة ، والادارة والمؤسسة العسكرية في ايدي الاقلية » . ويدرك ارلوسوروف ان ذلك لا يمكن ان يمثل تصورات ذهنية لحالات سياسية طالما كنا نرفضها » ولكنه لن « يقر بفشل الصهيونية قبل ان تجري المحاولة التي ترادف جديتها جدية النضال » .

● تهجير العرب

لم يتحدث الصهاينة ، باستثناء المجددين منهم ، للرأي العام عن تهجير السكان العرب من البلاد . لكن ما من شك انهم بحثوا الموضوع بينهم . كتب هارولد لاسكي في سنة ١٩٣١ ، وكان على اتصال دائم بوايزمن حينذاك ، لفيلكس فرنكفورتر في الولايات المتحدة ، فقال ان « المشكلة الاقتصادية » في فلسطين مستعصية الحل « الا اذا استعملت الحكومة البريطانية شرق الاردن لتسكين العرب » . (من كتاب « هارولد لاسكي » لكينغزلي مارتن ، صفحة ٢١٠) . لكنه ترك للجنة بيل الملكية عام ١٩٣٧ تحقيق الافكار الصهيونية .

فقد ورد في تقرير اللجنة (صفحة ٣٩١) انه « اذا اتضح ، بنتيجة التحقيق ، انه يمكن توفير مساحة كبيرة من الارض للمنطقة اليهودية ، فيجب بذل جهود فعالة للوصول الى اتفاق بشأن استبدال الارض والسكان » . ويضيف التقرير « ان الاتفاق يجب ان يتضمن ، كاجراء اخير ، فرض المبادلة » . وبما ان توصيات التقسيم الواردة في التقرير تعني وجود حوالي ١٢٥٠ يهوديا في الدولة العربية مقابل حوالي ربع مليون من العرب في الدولة اليهودية ، فان استعمال اللجنة لعبارة « استبدال » (وهي كلمة ما زالت تتردد عند الحديث عن مستقبل عرب فلسطين) هو امر غير طبيعي . لكن توصيات اللجنة لم يقترحها الجانب البريطاني وحده ، فقد صاغها وايزمن واورمسبي غور (سكرتير المستعمرات البريطاني آنذاك) قبل نشر تقرير اللجنة .

وورد في المحاضر التي كتبها وايزمن في اجتماعهما في ١٩ تموز (عن مجلة « جويش كرونكل » ، ١٣ آب ١٩٣٧) ان وايزمن قال في موضوع تهجير الاهالي العرب : « لقد قلت ان نجاح المشروع يعتمد على رغبة او عدم رغبة الحكومة في تنفيذ هذه التوصية . ان الحكومة البريطانية وحدها ، لا اليهود ، يمكن ان تقوم بالتهجير . وقد اوضحت سبب اعتبارنا لاهمية الاقتراح . ان تهجير عرب فلسطين قد اوصي به في مناسبتين في اواخر الحرب . الاولى في عام ١٩٤٤ بواسطة اللجنة التنفيذية لحزب العمال التي قررت « تشجيع العرب بأن يتركوا بينما يدخل اليهود » ، والثانية بواسطة الرئيس السابق هربرت هوفر الذي ايد في تشرين الاول ١٩٤٥ حل مشكلة فلسطين « هندسيا » بنقل عرب فلسطين الى العراق .

ما من شك ان اول هذه التوصيات ، على الاقل ، كان بوحي من الصهيونية ، وبشكل مؤكد تقريبا من عمل لاسكي الذي كان يومها رئيسا لحزب العمال . اما مشروع هوفر ، فاذا لم يكن من وحي الصهيونية ، فقد باركه الصهاينة (في رسالة مديح نشرتها النيويورك تايمز في ١٦ شباط ١٩٤٥ على مساحة عمودين ، وكانت بقلم اليتشافريدمن من منظمة الهداسا) . وفي تعليق على هذا المشروع ، نشر المجلس الصهيوني الاميركي بيانا يقول فيه (نقلا عن المجلة الصهيونية الرسمية « فلسطين » الجزء الثاني ، العددين ٩ و ١٠ في تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٤٥ ، صفحة ١٦) : « ان الحركة الصهيونية لم تؤيد قط تهجير عرب فلسطين ، لكنها اكدت باستمرار ان في فلسطين مكانا كافيا لسكانها الحاليين ، عرب ويهود ، ولبضعة ملايين من المهاجرين اليهود . ان تطورات السنوات العشرين الماضية قد برهنت هذا تماما ، على اي حال ، عندما تفشل كل الحلول المقبولة سابقا ، لا بد من اعتبار وسائل جديدة . ان مشروع هوفر ، وقرارات المجلس الطارىء ، تمثل اساليب جديدة ، ويعلن الصهاينة استعدادهم للتعاون مع القوى الكبرى ومع العرب لوضعهما موضع التنفيذ » .

● الحد الادنى

وقد فجر القضية قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة عام ١٩٤٧ . اعطى القرار للصهاينة ، الذين كانوا يملكون اقل من ٧ بالمئة من فلسطين ، حوالي ٥٥ بالمئة من البلاد . وكان موقف الصهاينة الرسمي ان هذا هو « الحد الادنى » الذي يمكن ان يقبلوه . لكن الفرص التي فتحت امامهم كانت تفوق الكلام . ذلك ان توصيات الامم المتحدة ، رغم انها تصورت تقسيما سليما ، فانها لم تعتبر بجد الوسائل لوضع القرار موضع التنفيذ . وهكذا توفرت مظلة من الشرعية للجانب الذي « تجاوب » مع ارادة الهيئة العالمية وباشر تحمل واجبه في التنفيذ. وبالعكس ، لم يكن هناك حاجة لوضع حدود للاجراءات الرادعة تجاه الذين ، دفاعا عن حقوقهم الاولية ، « تنكروا لارادة الهيئة الدولية » . كان الوضع ، في اعتبارات الانتهازية السياسية قابلا لاقصى حدود الاستغلال . وكان ، بالنسبة للصهاينة ايضا ، اعتبارات ملحة اخرى ، اهمها موضوع ملكية الارض .

رغم ان ٩٠ بالمئة من الارض التي يملكها اليهود في فلسطين وقعت ضمن الدولة اليهودية المقترحة ، فان معظم الارض في الدولة اليهودية المقترحة لم تكن ملكا لليهود ، ولم تكن من ممتلكات الدولة التي يمكن نقلها فورا لحكومة لاحقة . وهكذا ، من اصل ١٣،٥٠٠،٠٠٠ دونم (منها ٦،٠٠٠،٠٠٠ اراضي صحراوية و ٧،٥٠٠،٠٠٠ من الاراضي الزراعية) هي مساحة الدولة اليهودية حسب مشروع التقسيم ، كان ١،٥٠٠،٠٠٠ دونم فقط من الاراضي الزراعية ملكا لليهود .

في ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٨ اشارت الـ « زيونست رفيو » في ملحقها عن الصندوق القومي اليهودي ، قائلة : « يمكننا شراء ٣٠٠،٠٠٠ دونم دون الحاق الاذى بالسكان غير اليهود . وبالنتيجة ، سنمتلك ٤،٥٠٠،٠٠٠ دونم من اصل ١٢،٥٠٠،٠٠٠ دونم يمكن الاستفادة منها . ذلك يعني ٦٠ بالمئة من الاراضي الزراعية الحالية . فهل يمكننا كشعب ان نقبل امتلاك اقل من ٦٠ بالمئة من الارض ؟ » .

اضافت المخططات الصهيونية ، الى مشكلة ملكية الارض ، تهجير اليهود الواسع النطاق الى الدولة اليهودية المقترحة . وكانت الصعوبة هنا في وجود عدد من العرب يساوي عدد اليهود في الدولة اليهودية التي اقترحتها الامم المتحدة

لكن فوق كل هذا ، كان ادراكهم لقوتهم هو الذي يملي السياسة الصهيونية . ففي آذار ١٩٤٦ ابلغت الهاجاناه لجنة التحقيق الانكلواميركية : « اذا كنتم تقبلون الحل الصهيوني ، لكنكم لا تستطيعون او لا ترغبون بفرضه ، فرجاء الا تتدخلوا ، ونحن سنقوم بفرض الحل » . ومنذ ذلك الحين كان من شأن رفض بريطانيا الرد بشدة على الاعتداءات الصهيونية المتكررة ، لاسباب محلية وعالمية ، ان ازدادت ثقة الصهاينة بانفسهم . وشجع الصهاينة مساندة اميركا وروسيا لهم في الامم المتحدة عام ١٩٤٧ . ومهما بولغ في وعي الصهاينة لقوتهم ، فان ذلك لم يكن قائما على اساس من الواقع ، خاصة بالنسبة للقوة العربية المحلية .

مع نهاية آذار ١٩٤٨ كان بامكان الصهاينة ان يضعوا في الميدان ثلاثة الوية من البالماخ (وهي قوة ضاربة شديدة الحركة كانت تستعمل حيث الحاجة اشد)، وستة الوية من الجيش (خايل ساديه او قوة ميدان) التي كانت تعمل في ستة الوية قسمت البلاد على اساسها ، ولوائين من منظمة الارغون الارهابية .

بالاضافة لذلك ، كانت هناك قوات الخيم (خايل مازا او فرق الحرس) الذين كان تعدادهم يوازي قوات الجيش ، والبوليس اليهودي المحلي وتعداده حوالي ١٢،٠٠٠ ، وكتائب شبيبة الغادنا ، والسكان اليهود المسلحين .

اما السلاح المتوفر لهذه القوات ، فكان منه فائضا عما يمكن جمعه بسرعة من المصادر الصهيونية . يورد كيمشي (في كتابه « صدام اقدار » ـ صفحة ٧٦) نصا لبن غوريون يعلن فيه ان الهاجاناه كانت تمتلك في نيسان ١٩٤٧ : ١٠،٠٧٣ بندقية ، و ٤٤٤ رشاشا خفيفا ، و ١٨٦ رشاشا متوسطا . لكن هذه الارقام لا تشمل سلاح البوليس اليهودي المحلي الذي كان جزءا متمما للمؤسسة الصهيونية العسكرية في البلاد ، وان لم يكن رسميا تابعا للهاجاناه .

وحقا لم يذكر اي من كيمشي او لورتش البوليس اليهودي المحلي . ثم ان هذه الارقام يجب اعتبارها اقل من قوة الهاجاناه الحقيقية . فمثلا ، نعلم ان عميلا صهيونيا واحدا يعمل في بلد واحد ، هو بولندا ، استطاع وحده قبل ايام الحرب ان يرسل ٢،٢٥٠ بندقية و ٢٥٠ مدفعا رشاشا للهاجاناه (من كتاب « البقية المخلصة » لهربرت أجر ، صفحة ٢٠٤) .

يجب مقارنة البيانات الاحصائية للورتش وكيمشي بالمعلومات الواردة في المراجع اليهودية ، خاصة كتاب البالماخ « هاسيفر بالماخ » . نعلم من هذا الكتاب (الجزء الثاني ـ صفحة ٥١) ان المصانع الصهيونية المحلية كانت تنتج ، حتى آذار ١٩٤٨ ، مئة بندقية رشاشة خفيفة يوميا (وزادت هذه النسبة الى مئتين يوميا بانتهاء الاسبوع الاول من نيسان) و ٤٠،٠٠٠ طلقة عيار ٩ ملم من الذخيرة شهريا . يضاف لذلك ، ان هذه المصانع كانت تنفذ اوامر بانتاج ١٥٠،٠٠٠ قنبلة ميلز و ٣٠،٠٠٠ قذيفة مورتر من عيار ٣ انش ـ كل ذلك لم يرد ذكره من قبل كيمشي او لورتش ولا في اي سجل صهيوني بالانكليزية .

لقد كانت المصانع الصهيونية المحلية حقا فعالة ، فبالاضافة لمدافع طراز ستن، ومدافع مورتر عيار ٢ انش و ٣ انش وذخيرتها ، كانت تنتج قاذفات اللهب (وهو سلاح صهيوني محبب) ، وبياتس (مدافع مضادة للدروع) . ومدفع مورتر ثقيل يسمى دافيدكا الذي كان احب الاسلحة لدى الصهاينة . يذكر كيمشي (صفحة ١٦١) ان الدفيدكا «كانت تقذف كتلة من المتفجرات مسافة ٣٠٠ يارد ». قد يظن القارىء ان هذا السلاح خفيف ولا يؤذي ؟ لكن الحقيقة ان الدفيدكا كانت تقذف قنبلة تحتوي ستين رطلا من الـ ت.ن.ت. على احياء مدنية آهلة حيث كانت الضجة واللهب يرهبان النساء والاطفال .

● المشكلة الحقيقية

كانت هذه هي القوة التي حولها الصهاينة نحو تحقيق احلام هرتزل . وكانت مميزات الوضع الاساسية من حيث ميزان القوى ، كما يلي : كان لليهود ، دون ادنى شك ، قوة جارفة قياسا بالعرب . الا ان قوة العرب كانت تكمن في كونهم مقيمين . وليهزموا كان طردهم ضروريا ، بل كان لا بد من طرد العرب اذا اراد الصهاينة الحصول على ما « اعطته » لهم الامم المتحدة .

ذلك ان قرار الامم المتحدة بالتقسيم في تشرين الثاني ١٩٤٧ لم يأت لتثبيت الوضع القائم في فلسطين ، على العكس ، كان قرار التقسيم قرارا جذريا يهدف اعادة توزيع الارض لصالح الصهاينة .

لينجحوا ، كان على الصهاينة ان يفجروا الوضع القائم ، كان لا بد لهم من العمل ، والمبادرة ، والاقدام . لكن عاملين كان بامكانهما الحد من ذلك الطموح : الاول ، وجود البريطانيين في فلسطين ؟ والثاني ، الجيوش النظامية للبلدان العربية المجاورة . كان البريطانيون قد اعلنوا عزمهم على ترك فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٨ . يومها ينتهي الانتداب ، وتبقى البلاد في فراغ من حيث السلطة الشرعية ،خاصة ان بريطانيا سبق ورفضت مشاركة الامم المتحدة خلال الانتداب لارساء قواعد دولة جديدة . اذن ، كان ممكنا للجيوش العربية ان تدخل في ١٥ ايار دونما رادع قانوني . ودخول الجيوش العربية مع بقاء عرب فلسطين سيجعل القوى المؤيدة للوضع القائم (اي التي ترفض قرار الامم المتحدة بالتقسيم) قوة جارفة . اذن ، كانت قضية الصهاينة الملحة اجلاء عرب فلسطين قبل ١٥ ايار . لكن كيف يمكنهم ان يفعلوا ذلك ، وما زال للبريطانيين كل السلطة الشرعية ؟

في التحليل النهائي ، كان الموضوع يرتكز على سلوك البريطانيين ازاء التقسيم وعلى التوقيت الفعلي لانسحاب البريطانيين من البلاد .

بغض النظر عن رأي الصهاينة ، لم تكن بريطانيا بعيدة عن فكرة التقسيم ، وربما فضلت دولة يهودية اصغر مما اقترحته الامم المتحدة . لكن توقيت انسحاب البريطانيين كان الجوهر ، وكان ذلك موضوعا عسكريا فنيا ، الاولية فيه لمتطلبات حماية القوات البريطانية المنسحبة . كان تخوف الصهاينة في البلاد هو في ان تتابع بريطانيا ادارتها للبلاد ككل ثم تتركها دفعة واحدة في ١٥ ايار ، مسهلة بذلك للجيوش العربية تثبيت الاوضاع الراهنة في فلسطين . وسرعان ما اتضح ، ان بريطانيا ، وهي تمارس ادارتها اليومية للبلاد ككل ، كانت تتخلى عن الادارة الفعلية للمناطق تدريجيا . كان ذلك ما اراده الصهاينة بالفعل ، فالادارة اليومية البريطانية لفلسطين كانت درعا يحميهم من خطر الجيوش العربية النظامية . وقد اعطى ذلك للصهاينة الوقت الكافي لتهجير عرب فلسطين وخلق وضع جديد يستحيل على الجيوش العربية قلبه في ١٥ ايار .

اقلب الصفحة

حاييم لاسكوف
ييغال يادين
ييغال الون

خطة دالت

تـابـع

● الخطط

هكذا كان التخطيط العسكري الصهيوني قائما على استراتيجية ذات مرحلتين تتلاءم مع الوضع . في الخطة «س» كان الهدف الضغط الدائم على عرب فلسطين في كل مكان مع الابقاء على اتصال بالمستعمرات اليهودية في الدولة العربية المقترحة . وقد اعطى بيغال الون ، قائد البالماخ ، سببين للابقاء على هذه المستعمرات : (١) الضرورة الملحة لتحويل اي هجوم معادي عن المراكز المدنية الكبرى ، و (٢) عندما تقرر القوات ، الواقع عليها الهجوم ، هجوما مضادا لربط المستعمرات المعزولة .

اما المرحلة الثانية من الستراتيجية الصهيونية فكانت الهجوم الشامل لاحتلال وصيانة المقاطعات في مؤخرة القوات البريطانية المنسحبة . كان ذلك عملا متمما لا يمكن ايقافه الا بعمل مضاد وفعال . وكان ذلك هو الاساس لـ « خطة دالت » . ونقلا عن كيزفوت (عام ١٩٤٨ ، صفحة ١٦) كان الهدف من « الخطة د » « السيطرة على الرقعة التي منحتنا اياها الامم المتحدة بالاضافة للاراضي التي نحتلها خارج هذه الحدود ، وتأسيس قوى تناهض غزو الجيوش العربية المحتمل بعد ١٥ ايار . » وهذا غاية في الوضوح .

كان الانتقال من « الخطة س » الى « الخطة د » يعتمد ، لحد ما ، على سرعة ومدى انسحاب البريطانيين . لكن كانت هناك عوامل اخرى ، ابرزها العامل الاقتصادي .

كان الاقتصاد الصهيوني في فلسطين موازنا بدقة ومتشابكا ، وقد اثر هذا مباشرة على سرعة التعبئة وبالتالي على القوة الضاربة المتوفرة في وقت معين لدى القيادة الصهيونية العليا ، لكن عاملين غير متوقعين فرضا توقيت «الخطة د»: الاول ، كان المقاومة العنيفة التي ابداها عرب فلسطين . رغم انفجار الالغام في الاحياء العربية ، ورغم الغزوات الوحشية المتكررة على القرى الآمنة والتي نفذت وفقا للخطة «س» ، فقد حافظ العرب على مواقعهم في الفترة بين تشرين الثاني ١٩٤٧ وآذار ١٩٤٨ .

وحتى اول آذار ، لم يهجر القرى العربية اي من سكانها ، وكان عدد الذين تركوا المدن غير ذي اهمية . وفي الواقع ، كان يظهر وكأن العرب سيبقوا في اماكنهم وبالتالي يجهضون التغيير الجذري الذي مثله قرار الامم المتحدة . ليس هذا فحسب ، لكن مع نهاية شباط ، كان الصهاينة قد حاولوا ، دون جدوى ، ايجاد ارتباط بين الاجزاء المختلفة من البلاد . وظهر ان الحد الادنى اللازم للمبادرة الصهيونية وبالتالي النجاح قد تهدد .

● نقطة التحول في آذار

لا غرابة ان لجنة الامم المتحدة لفلسطين اعلنت عجزها وقالت ان التقسيم لا يمكن تطبيقه سلميا ، ولا غرابة ايضا ان كورفوت (صفحة ١٥) يصف هذه الفترة ، وخاصة الاسبوع الاخير من آذار ١٩٤٨ ، « انها ربما تمثل التحول العملي الحاسم » الذي يواجهه الصهاينة منذ الحرب . لكن الاكثر اهمية بالنسبة للصهاينة كان التغيير الذي حصل في السلوك الاميركي ازاء التقسيم .

مع منتصف آذار كانت الحكومة الاميركية قد ادارت ظهرها للتقسيم ، مهما كانت ، ربما ، مشاعر الرئيس ترومان نحو الموضوع .

ويصف الدكتور سيلفر ، من الوكالة اليهودية ، السياسة الاميركية الجديدة بانها « انقلاب صاعق » . (عن « نيويورك تايمز » ، ٢٠ آذار ، صفحة ٣) ، ويصفها المؤتمر اليهودي الاميركي بـ « التاكتيك المخذي والازدواجية » ، وعضو الكونغرس الصهيوني سيلر بـ « تحول مهلهل قصير النظر » (« نيويورك تايمز » ٢١ آذار ، صفحة ٦) . وربما ورد اهم تعليق على لسان الدكتور نيومان ، رئيس المنظمة الصهيونية الاميركية ، الذي قال : « اذا عطل قرار الجمعية العمومية فلا شك ان اليهود سيضغطون من اجل الهجرة والتمركز في كل فلسطين»

مقابل هذا الواقع وضعت « الخطة د » في حيز العمل . شملت الخطة سلسلة من العمليات التي ، لو نجحت ، لتركت كل فلسطين تحت الاحتلال العسكري الصهيوني . لا يهمنا هنا الوصف التفصيلي لهذه العمليات وانما نذكرها مع اهدافها :

- ● ١ – عملية ناخشون – ١ نيسان – هدفها احتلال ممر يصل تل ابيب بالقدس وبالتالي شطر الجزء الاساسي للدولة العربية المقترحة شطرين (هزمت).
- ● ٢ – عملية هاريل – ١٥ نيسان – تتمة لعملية ناخشون ، مركزة على القرى العربية قرب اللطرون (هزمت) .
- ● ٣ – عملية مسباراييم – ٢١ نيسان – لاحتلال حيفا وطرد سكانها العرب (نجحت) .
- ● ٤ – عملية شاميتز – ٢٧ نيسان – لتدمير القرى العربية حول يافا وبالتالي عزل يافا عن الاتصال العضوي ببقية فلسطين كتمهيد لاحتلالها (نجحت).
- ● ٥ – عملية جيفوسي – ٢٧ نيسان–لعزل القدس بتدمير الاطار المحيط بها من القرى العربيه والسيطرة على طريق رام الله – القدس الى الشمال ، وطريق أريحا – القدس الى الشرق ، وطريق بيت لحم – القدس الى الجنوب . كان بامكان هذه العملية ان تتسبب في سقوط القدس كلها وجعل مركز العرب غربي الاردن غير محتمل (هزمت) .
- ● ٦ – عملية يفتاح–٢٨ نيسان–لتطهير الجليل الشرقي من العرب (نجحت)
- ● ٧ – عملية متاتي – ٢ ايار – لتدمير القرى العربية بين طبريا والجليل الشرقي (نجحت) .
- ● ٨ – عملية مكابي – ٧ ايار – لتدمير القرى العربية قرب اللطرون ، وبحركة جانبية اختراق منطقة رام الله شمال القدس (هزمت) .
- ● ٩ – عملية جدعون – ١١ ايار – لاحتلال بيسان وطرد التجمعات البدوية المجاورة (نجحت) .
- ● ١٠ – عملية باراك – ١٢ ايار – لتدمير القرى العربية بجوار برير على طريق النقب (نجحت جزئيا) .
- ● ١١ – عملية بن آمي – ١٤ ايار – لاحتلال عكا وتطهير الجليل الغربي من العرب (نجحت) .
- ● ١٢ – عملية بيتشفورك – ١٤ ايار – لاحتلال الاحياء العربية في القدس الجديدة (نجحت) .
- ● ١٣ – عملية شفيفون – ١٤ ايار – لاحتلال القدس القديمة (هزمت) .

كان ذلك كله قبل دخول الجيوش العربية النظامية ، كما ان ثمانية من عمليات « الخطة د » المذكورة كانت خارج الرقعة التي منحتها الامم المتحدة للصهاينة . ومن الجدير بالذكر ان ابناء كيمشي يسميان في كتابهما خمسة فقط من العمليات الثلاث عشرة ، رغم المقدمة العلمية للكتاب والمعنونة « حول كتابة التاريخ المعاصر » .

● تاكتيكات البالماخ

ان ادق وصف للوسائل التي اعتمدها الصهاينة لتحقيق مآربهم في هذه العمليات يورده بيغال الون ، قائد البالماخ والمسمى بطل حرب « التحرير » . وبالتاكيد ، هو يعلم اكثر من غيره حقيقة ما حدث .

يرد الوصف في كتاب « هاسيفر هابالماخ » (كتاب البالماخ) – الجزء الثاني ، صفحة ٢٨٦ .

والترجمة : « كان امامنا خمسة ايام فقط قبل الموعد المرعب ، ١٥ ايار . راينا ضرورة تطهير الجليل الداخلي وخلق تسلسل جغرافي يهودي في كافة انحاء الجليل الاعلى . كانت المعارك الطويلة قد اضعفت قواتنا ، وكانت امامنا مهمات ضخمة لسد طرق الغزو العربي . لذا تطلعنا لوسائل لا ترغمنا على استعمال القوة ، لدفع عشرات الآلاف من العرب الباقين في الجليل الى الهرب ، ذلك انه في حالة غزو عربي ، كان ممكنا لهؤلاء ان يطعنونا من الخلف . حاولنا استعمال تاكتيك يستفيد من الانطباع الناتج عن سقوط صفد وهزيمة العرب في منطقة عملية متاتي . كان بنجاح التاكتيك رائعا .

« جمعت كل المخاتير اليهود ، الذين لهم اتصال بالعرب في قرى مختلفة ، وطلبت منهم ان يهمسوا لبعض العرب ان تعزيزات يهودية ضخمة قد وصلت الى الجليل وانها ستحرق كل قرى الحولة . كان عليهم ان يقترحوا لهؤلاء العرب ، كأصدقاء لهم ، الهرب ما دام الوقت كافيا وانتشرت الشائعة في كافة مناطق الحولة بأن وقت الهرب قد حان . كان عدد الهاربين لا يحصى . لقد نجح التاكتيك نجاحا كاملا . سقط مبنى محطة البوليس في هلسا في ايدينا دون طلقة رصاص . طهرت المساحات الواسعة ، نزع الخطر عن طرق المواصلات واصبح بامكاننا تنظيم انفسنا على الحدود استعدادا للغزو ، دون الخشية على مؤخرتنا . »

كما ذكر ، كانت « الخطة د » تحمل امكانيات ضخمة لا يمكن وضع حد لها الا بقوة مضادة مناسبة .

ان دراسة على الخارطة لمسرح العمليات المذكورة آنفا يظهر ان الصهاينة اوشكوا على السيطرة العسكرية الكاملة على كل فلسطين . كونهم لم ينجحوا تماما في خططهم لم يكن مرده لتعقيدات سياسية او حدود تكنيكية ، لكن مرده كان تدخل الجيوش العربية النظامية . يوافق بيغال الون على ذلك ، وهو الذي كان في مركز يؤهله ان يعرف :

« هذه المرحلة من الحرب والتي اصبحت ممكنة بانسحاب البريطانيين التدريجي ، وانتهت بدخول الجيوش العربية الى البلاد ، اعطت الهاجاناه انتصارات قيمة . شكرا للحرب الهجومية المحلية التي حققت تكامل الاراضي اليهودية واقتحام قواتنا للاراضي العربية . ان هرب العرب باعداد ضخمة سهل لقواتنا الاشراف على مساحات شاسعة ، وكان عبئا على العدو والذي بذل سهل لقواتنا الاشراف على مساحات شاسعة ، وكان عبئا على العدو والذي بذل التي حملها اللاجئون معهم للاراضي العربية . لولا الغزو العربي لما كان هناك من توقف لتوسع قوات الهاجاناه التي كان بامكانها ، بنفس الدوافع ، الوصول الى الحدود الطبيعية لاسرائيل ، ذلك ان قوات العدو المحلية كانت في هذه المرحلة مشلولة . »

نصف بن غوريون فقط !

في كتاب صدر مؤخرا في لندن اسمه « بن غوريون : سيرته السياسية » يقرر المؤلف الانكليزي موريس ايدلمان ان « سيرة بن غوريون تمثل انتصار الفردية في السياسة الحديثة » ففي اكثر من مناسبة كان يصعب على اصدقاء بن غوريون تحديد الخط الذي سيتخذه حول موضوع معين

يقرر المؤلف « ان قوة بن غوريون ، مثل قوة تشرشل ، هي في انه لا يطرح الحل السهل ساعة الخطر » فقد « اظهر انه رجل دولة حقيقي عند ازمة السويس حين استطاع اقناع وزارته بضرورة سحب القوات الاسرائيلية من مواقعها ، فقد كان ذلك مثلا آخر على جرأته في الوقوف ضد الرأي العام عند الضرورة » .

وينصرف المؤلف الى تبرير عملية خطف ايخمان التي اثارت ضجة كبرى وكان بن غوريون وراءها فيقول ان هذا الحادث كان كما اراده بن غوريون « محاكمة لنظام ولا لمجرد فرد » ، ويمضي المؤلف على لسان بن غوريون فيقول : « ليس مهما اذا كان دور ايخمان كبيرا او صغيرا في الحكومة النازية ، ومهما يكن فيظهر انه قام بعمله على اتم وجه ، واذا صدقت شهادات بعض رفاقه ، فبحماس ايضا ، الا انه حتى لو نجح في الانتقال الى وظيفة اخرى لما انقذت حياة يهودي واحد . كان غيره جدير بالقيام بمهمته وكانت المذابح ، لذلك ، ستستمر وهنا يكمن الدرس الاساسي في المحاكمة » وكان بن غوريون نفسه قد قال في صحيفة دافار اثر اختطاف ايخمان : « انه من الضروري ان يتذكر شبابنا ما حدث للشعب اليهودي ، نريدهم ان يعلموا الحقائق المحزنة في تاريخنا».

ان «عظمة» بن غوريون ، في رأي المؤلف ، هي انه استطاع « تحقيق ما حققه رغم الاتجاهات المتباعدة في شعبه» هذا الشعب الذي قال عنه تشرشل انه يشبه اليونان من حيث انه اكثر شعوب العالم اهتماما بالسياسة «وهم بالتالي مقسمون الى احزاب يتصارع قادتها بتهور ، ولطالما قيل انه حينما يلتقي ثلاثة يهود فستجد بينهم لا محالة رئيسا للوزارة وزعيم معارضة واحد».

★ ★ ★

على هذه « الثلاثية » يعتمد المؤلف في تسجيل سيرة بن غوريون : رده « الاخلاقي » على النازية بفلسفته في قصة ايخمان – قدراته الفردية غير المحدودة في السياسة – ثم نجاحه في جميع اتجاهات « شعبه » المتباينة في دولة .

وواضح من هذا التسجيل الانحياز في النظرة الى سيرة بن غوريون التي يقع فيها المؤلف : فما بدا له « جرأة في الوقوف امام الرأي العام » حين انسحبت اسرائيل من سيناء هو مجرد تشويه لحقائق موضوعية ليست مجهولة من قبل احد وليست ، كما انها لا يمكن ان تكون ، قرارا فرديا معزولا عن الضغوط المعروفة .

وبنفس المستوى يتكرر هذا الانحياز في طريقة النظر الى عملية خطف ايخمان ، فرغم كل ما قاله بن غوريون عن محاكمة النظام النازي فان بن غوريون نفسه ، كما يسجل المؤلف ، يوضح ان العملية تمت لاغراض دعائية داخلية والحفاظ على مستوى التوتر المطلوب في العقلية اليهودية .

وموضوع انشاء دولة فوق الاختلافات القائمة بين اليهود موضوع منظور اليه ، ايضا ، بانحياز ضيق ، وذلك ان الذي حدث ليس هو انشاء دولة فقط ، ولكن ، وبنفس المستوى ، خلق مشكلة قومية لشعب كامل ، غير عادلة ووحشية .

الطليعة

اولى مجلات الكويت

اسبوعيا في المكتبات

عالم ليس لنا

مجموعة قصص جديدة

بقلم : غسان كنفاني

عن دار الطليعة

في المكتبات

الحلقة الأخيرة التي تكشف تفصيلاتها لأول مرة من فضيحة لافون

لافون : وراء العمل المخزي

دايان : لم يعرف !

شاريت : رئيس الوزراء آخر من يعلم !

متى وكيف صدر الأمر باقتراف الحادث المخزي ؟

في الحلقتين اللتين نشرتهما « فلسطين » من الملخص الكامل لهذا الكتاب الذي ينشر لاول مرة روى المؤلف حجاي ايشد الظروف المحلية والدولية التي مهدت باتصال لتخطيط « الحادث المخزي » واقترافه .

وسجل المؤلف التنازع غير الطبيعي في الصلاحيات والامتيازات بين رؤوس « الدولة » في اسرائيل والقوى العسكرية فيها وكيف ان هذا التنازع ادى الى اتخاذ قرارات متناقضة وغير بارعة ...

وفي هذه الحلقة الاخيرة من الكتاب ، الذي تقدمه فلسطين لقرائها يكشف المؤلف الصهيوني النقاب لاول مرة عن الوقت الذي صدر فيه الامر باقتراف « الحادث المخزي » والظروف التي احاطت باصداره .

و « الحادث المخزي » الذي يشير اليه المؤلف دون ان يشرحه هو الذي صار يعرف فيما بعد بفضيحة لافون ، وموجزة ان لافون الذي كان وزيرا للدفاع آنذاك اصدر اوامره لمجموعة من الجواسيس للقيام بنسف واحراق المؤسسات الدبلوماسية والثقافية لانكلترا وامريكا في مصر والحصول من وراء الازمة التي ستنشب حتما بين القاهرة من جهة ولندن وواشنطن من جهة اخرى بعد هذا العمل على مكاسب معينة تتوضح في المقال التالي ...

(فلسطين)

متى صدر الامر باقتراف الحادث المخزي

ادى تدخل لافون في قضايا القيادة العسكرية في الهاغناه الى استقالة موشه ديان، رئيس الاركان ، في حزيران ١٩٥٤ . وقبل قصة شحنة الدبابات الفرنسية ، حاول لافون الاتصال المباشر بضباط الهاغناه مستهدفا الحصول على معلومات منهم ، واصدار اوامر مباشرة اليهم . وقد تحدث اليه موشه ديان بهذا الامر اكثر من مرة ، وحاول كلاهما الوصول الى تسوية تمكن لافون من الاتصال بهؤلاء الضباط دون ازعاج لنظام القيادة .

وفي مطلع شهر نيسان من تلك السنة ، حاول لافون ان يستأثر بحرية الاتصال غير المشروط باربعة ضباط من الهاغناه هم رئيس المخابرات العسكرية وضابط الاركان في لجنة الهدنة ، والضابط الناطق بلسان الهاغناه ، والضابط المسؤول عن الحكم العسكري المطبق على العرب في اسرائيل .

وفي شهر تموز ١٩٥٤ توثقت العلاقات بصورة مذهلة بين لافون و « الضابط الكبير » . وفي ١٢ تموز غادر موشه ديان اسرائيل الى اميركا وفرنسا ، فزادت الاواصر بين لافون والضابط الكبير قوة . كما وان العلاقات بين لافون وشاريت زادت توترا .

وكان الخلاف بين لافون وشاريت على اشده حول شؤون الهدنة ، صغيرها وكبيرها ، بحيث انه تطور الى السؤال عمن سيشرف على هذه الشؤون ويديرها : وزارة الخارجية ام الجيش . وكان مدير قلم المخابرات هو المشرف اشرافا مباشرا على شؤون الهدنة باسم الجيش . وكان قلم المخابرات في الهاغناه اثر فروعها اهتماما بالشؤون السياسية بحكم عمله . وعندما اصر شاريت على عدم انسحاب اسرائيل من لجنة الهدنة ، خلافا لاوامر لافون . غير ان لافون لم يقر الامر الواقع ، فكتب الى وزارة الخارجية ، فأقر شاريت الفكرة في البدء ، ثم عاد فندم على تسرعه ، واراد وضع المسؤولية على كاهل الهاغناه ، مع الاحتفاظ لنفسه بصلاحيات تمكنه من اصدار الاوامر المباشرة لممثلي اسرائيل وللناطق بلسان اسرائيل .

وفي ذلك اليوم التأمت لجنة الماباي الخماسية آنفة الذكر ، لمناقشة الخلاف القائم بين شاريت ولافون حول لجان الهدنة ، فقررت ابقاء الامر في عهدة الهاغناه . غير ان هذا القرار لم يعجب لافون فتبادل مع شاريت المذكرات الشديدة في الفترة الواقعة بين ٢٣ و ٢٩ تموز ١٩٥٤ . وفي هذه الفترة بالذات ، صدر الامر باقتراف « الحادث المخزي » وبدأت ترتيبات تنفيذه .

وفي هذه الفترة بالذات ، بلغت العلاقات بين شاريت ولافون ذروتها في التروي ، وهوت العلاقات بين لافون وديان الى الحضيض ، بينما ازدادت قوة بين لافون و « الضابط الكبير » حتى ان الضابط الكبير قال : لقد كنا شركاء في كل امر .

وكان لافون يتحدث الى « الضابط الكبير » اذا ما خلوا معا ، عن جلاء بريطانيا عن قناة السويس ، وعن حرية الملاحة فيها . وكان قلم المخابرات الاسرائيلية يتلقى انباء المفاوضات وتطوراتها بشأن الجلاء ، فينقلها « الضابط الكبير » الى لافون فورا .

وكانت المفاوضات قد توقفت في اكتوبر ١٩٥٣ لكنها سرعان ما تجددت في حزيران ١٩٥٤ وفي ١٦ منه بعث « الضابط الكبير » بمذكرة الى لافون وباخرى الى موشه ديان . واشار فيها الى اجتماع تشرشل مع ايزنهاور بشأن تجديد مفاوضات الجلاء، وانتهائها خلال ثلاثة اشهر ، ولمح الى توقع قيام اسرائيل بنشاط في هذا الشأن. وحول هذه النقطة نشأ خلاف واضح بين مدير مخابرات الهاغناه ولافون من جهة ، وبين لافون وموشه ديان من جهة اخرى

وعلق ديان على مذكرة « الضابط الكبير » بشأن مفاوضات الجلاء عن القنال ، فقال : يفترض ان اسرائيل لا تستطيع وحدها ان تمنع اتفاقية الجلاء ، واشترط ديان على مرور سفينة اسرائيلية في القنال ، ان تكون اسرائيل مستعدة للقيام بعمل عسكري، فيما لو احتجزت السلطات المصرية تلك السفينة في القنال .

وعلق « الضابط الكبير » على هذا التعليق ، فقال : ان مصر تعرض نفسها لخطر رد فعل عسكري سياسي اسرائيلي من ورائه رد فعل سريع في مجلس النواب البريطاني يحتضنه النواب المعارضون للاتفاقية ، فيما لو احتجزت السلطات المصرية تلك السفينة ، وعندئذ يتعرض التوقيع على الاتفاقية لتسويف آخر .

وعاد ديان فعلق على هذا التعليق بقوله : هذا اذا احتجزت مصر السفينة الاسرائيلية ، واذا قامت اسرائيل بعمل عسكري .

وكان ديان يقول : ان محاولة اسرائيل نقل سفينة عبر مضائق تيران ، او عبر قناة السويس تكون مقبولة لو انها عززت المحاولة بعمل عسكري ، فيما لو احتجزت السفينة ، والا فان المحاولة ستكون الدليل على ضعف اسرائيل .

وفي الوقت ذاته كان قلم المخابرات الاسرائيلية يعتمد على مرور وقت طويل حوالي ثلاثة اشهر ، لانتهاء مفاوضات الجلاء ، ولا يرى مبررا للسرعة من الدرجة الاولى في عمل اي شيء .

وفي ٣٠ حزيران احيط هذا القلم (اي المؤلف) علما من مصدر موثوق بأن بريطانيا ستقدم الى عبد الناصر في مطلع شهر تموز مشروعا بريطانيا جديدا بشأن الجلاء ، معززا بتأييد اميركي ، وذلك عقب المحادثات التي عقدها تشرشل مع ايزنهاور في واشنطن بهذا الشأن .

وفي يوم الاثنين الموافق ١٢ تموز نشر نبأ يقول : ان بريطانيا نست مقترحاتها الى مصر ، وانها تتوقع الجواب عليها خلال اسبوع .

وفي ١٣ منه اطلع سلوين لويد ممثل اسرائيل على تلك المقترحات . وفي يوم الخميس منه نشرت صحف اسرائيل على صفحاتها الاولى تصريح نشر لـ القائل : ان الوقت قد حان للجلاء عن قناة السويس . وفي هذا التاريخ تلقى مكتب المخابرات الاسرائيلية خبرا من مصدر رسمي يقول : انه من المتوقع ان يصدر تصريح بشأن الجلاء عن قناة السويس بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٤٥ م.

وفي هذا التاريخ بعث « الضابط الكبير » الى لافون بمذكرة ثانية ، عطفا على مذكرته الاولى ، قال فيها : ان الجلاء عن قناة السويس يحدث تغييرا حاسما في الوضع في الشرق الاوسط ، منذ التوقيع على اتفاقية الهدنة وتصريح الدول الثلاث الكبرى بضمان حدود اسرائيل وسلامتها الاقليمية . ولا يسع اسرائيل الا ان ترى في هذا التغيير تحولا يمس امنها وكيانها تماما مباشرا ، بحيث انه اذا خلت اتفاقية الجلاء عن ضمانات عملية لامن اسرائيل وسلامتها ، فلسوف تكون اسرائيل مضطرة الى اعادة النظر في موقفها من جديد والى تفحص الاحتمالات التي تواجهها على ضوء هذا الوضع الجديد . وجميع الاخبار التي تواردت خلال الاسبوع ، والتي بلغت ذروتها يوم الخميس ١٥ تموز ١٩٥٤ احدثت تسارعا فجائيا وضرورة اتخاذ قرار حاسم فوري .

اترى هل استوجب الامر القيام بعمل ما ، خلال الايام القريبة ، لشد ازر الضغط الذي شرع يوجهه النواب الثوار من حزب المحافظين في البرلمان البريطاني ضد الجلاء عن منطقة قناة السويس ؟ ام ترى صدر الامر بعمل شيء من شانه ان يؤجل التوقيع على معاهدة الجلاء ، في اللحظة الاخيرة ؟ .

فشل محاولة اقتراف الحادث المخزي

اذا استعرضنا تطور الاحداث منذ يوم الخميس ١٥ تموز ١٩٥٤ ، فانا حاصلون على الصورة التالية : في يوم الخميس اشترك « الضابط الكبير » في الجلسة الاسبوعية لدى وزير الدفاع .

وكان على جدول اعمال تلك الجلسة ثلاثة بنود تقع جميعا ضمن نشاط « الضابط الكبير » . وبحسب العرف المتبع حتى اليوم ، اعتاد رئيس الاركان ان يجلب معه الى الجلسة كبار الضباط المشتغلين في مواضيع النقاش المختلفة ، حسب مقتضى الحال . وما كان الكولونيل يوسف افيدار ، نائب رئيس الاركان ، خبيرا بتفاصيل المواضيع التي كان يعالجها « الضابط الكبير » .

وبعد ارفضاض الجلسة ، لبث « الضابط الكبير » يتحدث الى لافون، على انفراد حول الامكانيات العملية لتعويق مفاوضات الجلاء عن مصر .

وكان من الطبيعي ان لا يتمخض حديثهما عن قرار فوري ، بل كان من المفترض ان يستعرضا الامكانيات في الغد ، وكان الغد ، الجمعة ١٦ تموز ، يوم ميلاد لافون الخمسين فكان مثقلا بالالتقاءات والجلسات في امانة الماباي، والجلسة الخاصة التي عقدت «للتهويد الناصرة » ، وقد اضطر الى الرجوع الى البيت في ساعة مبكرة ، ومثله فعل الضابط الكبير .

وفي الظهر تناول « الضابط الكبير » طعام الغداء مع الملحق العسكري الفرنسي فتحدث معه عن قضايا شتى ، بما فيها النوايا التي تبيتها اميركا وبريطانيا للمنطقة .

وبعد الغداء اسرع «الضابط الكبير» الى منزل لافون ، لينهي معه الحديث الذي بدأه في اليوم السابق .

والى هذا الحديث اشار « الضابط الكبير» في رسالتين بعث بهما الى موشه ديان في الخارج .

لقد تم نقل الامر باقتراف الحادث المخزي ابتداء من اليوم التالي ، السبت ١٧ تموز ١٩٥٤ وجميع مراحل نقل هذا الامر معروفة اليوم بالتفصيل وبالضبط ، وبطريقة مجردة عن الشك. غير اننا لاسباب شتى ، يصعب علينا ان نوضح هنا هذه بالتفاصيل . !

اذن في مساء يوم الجمعة لا قبله ولا بعده ، « ١٦ تموز ١٩٥٤ » اصدر « الضابط الكبير » الامر . وفي صباح يوم السبت « ١٧ تموز ١٩٥٤ » نقل ضابط الجيش الاحتياطي هذا الامر والعلاقات الوطيدة بين الضابط الكبير ولافون آنذاك مكنته من ان يتلقى من لافون هذا الامر ، وما كان ثمة ما يبرر للضابط الكبير ان يصدر امرا بالقيام بعمل عسكري ، دون موافقة او علم جميع رؤسائه ودون علم موشه ديان ، رئيس الاركان ، وكان آنذاك في الخارج. ودون علم نائبه الذي لم يكن على المسرح مطلقا ، ودون علم لافون ، وزير الدفاع ، وقد كان على صلات وثيقة وطيدة مع «الضابط الكبير» في جميع شؤون نشاطه ، وما عمله لافون ، وما لم يعمله ، منذ ١٦ تموز ١٩٥٤ حتى منتصف شهر كانون الاول من تلك السنة ، كان من شان ان يوطد ويؤسس مزاعم « الضابط الكبير » القائلة انه في يوم الجمعة ، وفي ساعات ما بعد الظهر منه ، تلقى الامر من بنحاس لافون ، فنقله حالا الى الضابط الذي يليه في الرتبة .

وبدأت انباء فشل المحاولة باقتراف « الحادث المخزي » تنتشر في الصحف رويدا رويدا منذ مساء السبت الموافق ٢٤ تموز ١٩٥٤ فصاعدا ، وفي يوم الاربعاء ٢٨ منه نشرت صحف اسرائيل بيانا وافيا ومفصلا بشأن هذا الفشل ، وفي هذا التاريخ فقط بدأ موشه شاريت رئيس الحكومة ووزير الخارجية يحيط علما بالحادث المخزي لاول مرة.

وكانت علاقاته مع لافون قد ساءت الى الحضيض عقب اختلافهما على الصلاحيات بشأن معالجة الامور في لجنة الهدنة .

وفي اليوم التالي (الخميس ٢٩ منه) دعا شاريت « احدهم » وساله عن الانباء المنشورة عن الحادث المخزي فاجابه هذا بانه لا يعرف شيئا زيادة عما نشرته الصحف وساله هل تلقى معلومات عن هذا الحادث من لافون فاجاب شاريت بالنفي ، وقال ان المعلومات تسربت اليه من مصادر اخرى

ثم اتصل احدهم بالضابط الكبير ، وبحث معه قصة « الحادث المخزي » فاجابه هذا بان اوامر لم تصدر باقترافه ، بل بتنظيمه ، واعداده .

ونقل (احدهم) هذا التصريح الى موشه شاريت ، وعلق عليه بقوله « اني لا اصدق ذلك » .

(انتهى)

الاغنية الصفراء

شعر
فوزي الاشمر

فوزي الاشمر شاب عربي من اللد ، في طليعة الشعراء العرب في فلسطين المحتلة ، كتب هذه القصيدة التي ننشرها منثورة فيما يلي حين شقت السلطات الاسرائيلية قناة اجتازت عددا من اراضي القرى العربية لتنفيذ مشروع مياهها المعروف ..

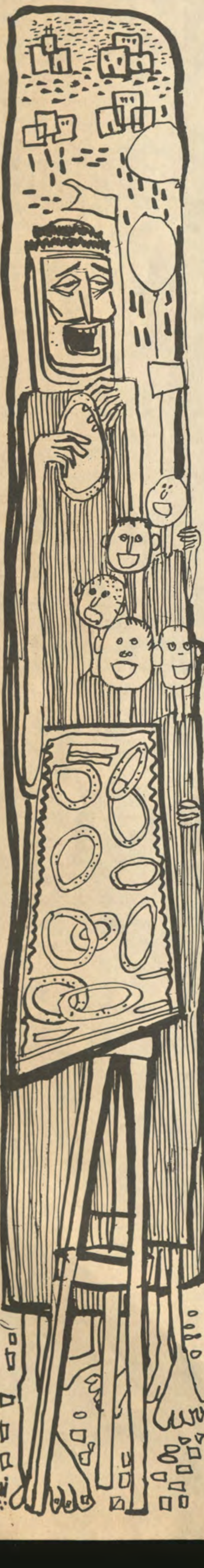

العيد يعم القرية
والاطفال يلعبون بالتعريفة
بائع الكعك يصيح سعيدا :
« كعك ! تعالوا ايها الصغار
كل كعكة بتعريفة واحدة »
والاطفال يردون :
بتعريفة واحدة ؟
اعطنا اذن كعكا !

* * *

اغنية تملأ القرية
اغنية بيضاء في القرية
الشيخ ابو عليا سعيد
مثل بقية الشيوخ
فالعيد قد اتى بعد الحصاد
وبعد ان جمعت الغلة ..

* * *

الشيخ ابو عليا سعيد
بالثوب الاخضر الجديد
الذي اشتراه من المدينة امس
ودفع ثمنه نقدا ..
في يوم العيد سيقدمه لابنته عليا ..
التي ستغني طربا ..

* * *

اغنية تلف القرية باكملها
وجوه الناس سعيدة
والحقول المحصودة تغني في شعاع الضوء ..
الدقيق يغني
اكوام القش تموج طربا
الابقار تنحني نحو العشب
الاغنام تثغو
الديوك تصيح جذلا
البط يرف اجنحته سعيدا
والطحين ينام في احضان السنابل ..

* * *

ولكن العيد ، الآن ، صامت تماما ..
فالدود يجتاح القرية
الحقول المزروعة خضراء
مثل بساط ناعم
احضان السنابل مليئة
الدود يتحرك عبر الحقول
لم تبق سنبلة قمح واحدة
قطفت كل الزهور
وجفت البراعم ..

* * *

مات العيد ..
وتلاشت الاغنية
وسوف لن يكون هناك اي عيد
في العام القادم ..
الاطفال لن يلعبوا بالتعاريف
الطيور ستصمت
بائع الكعك لن يصيح على كعكه
سوف لن يحضر الشيخ ثوبا جديدا
لابنته الحسناء ..

* * *

اغنية اخرى تلف القرية
اغنية صفراء حزينة ..
الدموع تسقط من العيون الصامتة ..
تحولت الحقول الى حرباء
تغير لونها من الاخضر الى البني
الى الرمادي ..

* * *

الشيخ ابو عليا تعيس ..
ليس ثمة ثوب اخضر للعيد
انه يوم الحداد
وليس يوم الاغنيات ..

* * *

الفجر اسود
الشمس حجر اسود معلق في السماء
تحطمت الحقول تحت اسنان آلات وحشية

* * *

الاطفال يبكون بضعف ..
القرويون يقفون ، عاجزين ..
ويبكون !

العرب في الرواية الصهيونية

في الجزء الاول من هذا البحث تحدث الكاتب عن «العرق والدين» في الادب الصهيوني كظاهرتين عبرتا عن نفسهما في اعمال مبكرة من هذا الادب وانتهى الى القول بان العرق والدين في الاعمال الادبية الصهيونية كلمتان تعنيان في الواقع اصطلاحا واحدا ،

وعلى ضوء الاستشهادات المباشرة من عدة روايات صهيونية استعرض المؤلف الصورة التي تقدمها هذه الروايات ـ على الجانب الابيض ـ للبطل اليهودي والصورة المناقضة التي تقدمها الروايات نفسها ـ على الجانب الاسود ـ لكل ما هو غير يهودي .

وفيما يلي الجزء الثاني والاخير من المقال .

(فلسطين)

ان الخط الذي تجري فوقه احداث الصهيونية التي كتبت في اعقاب ١٩٤٨ يمكن ان يحدد كما يلي :

اولا : البطل غالبا ما يكون قادما من اوروبا ، مهاجرا الى فلسطين بدافع «وطني» واخلاقي ، تاركا وراءه ذكرى طازجة جدا لمذبحة او لمذبحتين هتلريتين فقد فيهما اهله واصدقاءه ـ هذا البطل بالذات تكرر في اكسودس بشخصية دوف، وفي نجمة في الريح، وفي الانتصار الاكبر وفي الاغرار الاخير وفي غبار (يائيل دايان) وفي «في اعقاب خيال عملاق» من روايات السيرة (تدبركمان) وفي غيرها .

ثانيا : البطل او البطلة يقع او تقع في غرام شخص غير يهودي ، وعن طريق العلاقة بينهما يقدم المؤلف شرحا للصهيونية ويدير نقاشا بين الطرفين على هواه، النتيجة طبعا هي ان يكتشف غير اليهودي عدالة القضية اليهودية فيضحي بدوره جنديا من جنود الصهيونية .

ثالثا : العرب ، بصفتهم الطرف الآخر في الرواية ، لا قضية لهم ، وكي يبرهن المؤلف على ذلك يلجأ الى الغاء الذي لا حل له لوحشيتهم ويبذل جهدا ليبرهن انهم خربوا ارض فلسطين وهو جهد يترافق عادة بمحاولة لتضخيم آثار اليهود فيها، وغالبا ما يكون البطل ضليعا في التوراة وفي علم الآثار اليهودية .

رابعا : مسلحا بهذه الاسلحة يدخل المؤلف الى الاحداث ولكنه يظل محتاجا الى اظهار اضطهاد العالم له ، الامريكيون والدانمركيون ، لاعتبارات مختلفة ، هما الشعبان الوحيدان اللذان نجا من انتقادات واحتقارات الرواية الصهيونية ، ان الحملات التي توجه عادة الى الشعوب الاخرى تنطلق من محاولة لاظهار تماسك اليهود كامنية بين ظن ان هذه الشعوب وفضلهم عليهم ولانه لا يمكن حصر مثل هذا الهدف فان المؤلف لا يستطيع عادة السيطرة عليه وبالتالي ينقلب الى هجوم فيه الكثير من التصغير والاحتقار كما حدث مع ليون اوريس في اكسودس حين تحدث عن مقاومة اليهود في بولونيا فافرد صفحات لتصغير واحتقار البولونيين (ص ١٣١) .

خامسا : بسبب فقدان الرابطة الجغرافية واللغوية والتاريخية لليهود لا يستطيع المؤلف الصهيوني في حديثه عن اتجاه اليهود الى فلسطين ان يتجنب اعتبار الدين والعرق كدافع واحد داخلي يصاحب الدوافع الخارجية (الهتلرية والاضطهاد) لهذه الحركة تجاه فلسطين ، ولذلك نقع الاعمال الادبية الصهيونية في شباك الشرق العرقي بطرق متفاوتة ، كما حدث في دافيد الروي لبنيامين دزرائيلي ، وكما حدث فيما بعد في اكسودس وفي طوبى للخائفين وفي عدد كبير من القصص القصيرة التي تعاملت مع هذا القطاع .

ان هذه المحاور الخمسة تشكل معا الهيكل العظمي للغالبية الساحقة من الاعمال الادبية الصهيونية التي تصدت لتاريخ الاربعينات والخمسينات من هذا القرن ، على اصعدة متفاوتة ، فاذا كان ليون اوريس لم يكتف بمئات من الصفحات تحدث فيها عن الاضطهاد النازي حديثا دراماتيكيا محشوا بمبالغات اسطورية ، اذا كان اوريس لم يكتف بذلك فملأ مئات من الصفحات الاخرى بمحاولات مبالغ فيها ايضا لتحقير العرب والشعوب الاخرى فان يائيل دايان في (غبار) مثلا استطاعت ان تتجنب الحديث عن العرب وان تحصر الرواية كلها في نوع من المونولوج الداخلي يجريه البطل بين صفحة واخرى مع اهله الذين احرقوا في احد المعتقلات الهتلرية ، ولكن الاثنين ـ على اختلاف مقدرتهما الفنية وطريقة معالجتهما للمشكلة ـ لم يستطيعا على الاطلاق ان يقدما للاشكالات التي تنبثق عن المزج بين الدين والعرق ، هذا المزج الذي لا مناص من مواجهته في الاعمال الادبية ، تبريراتها العلمية : فمن ناحية اولى يلجأ اكسودس صراحة الى اسلوب نازي في اقامة مستويات بين الاعراق يمنح ما يشاء منها حق الحياة ويحرمه لمن يشاء ومن ناحية ثانية تسلط يائيل دايان سيف هتلر على رقاب القراء لتخفي وراء حافته الدموية حقائق اخرى ليست اصغر شأنا او اقل قربا من مجمل الصورة التي تتعامل روايتها معها .

على ان طبيعة البحث تقتضي الاشارة الى ظاهرة اخرى .

لقد ذكرنا فيما سبق ان الناقد الذي يستعرض الانتاج الصهيوني يلحظ ، على عكس ما قال ولترود ، ان الكاتب الصهيوني يفقد موضوعيته كلما ابتعد عن الاحداث واشخاص وليس كلما اقترب منها كما قال ولترود .

ان ليون اورليس اكثر بعدا عن الاحداث من يائيل دايان ، وبالتالي فهو اكثر فقدانا للموضوعية واكثر لجوءا الى المبالغات ، واكثر تقيدا باسس الصهيونية النظرية وبالتالي اكثر خضوعا لتناقضاتها من يائيل دايان التي عاشت الاحداث عن كثب .

وقرب يائيل دايان من الاحداث هو الذي جعلها في «طوبى للخائفين» تقوم بمحاولة لتبرير البطل المعصوم ، والعنوان واضح في هذا المجال ، وهذا الوعي كما يخيل الي هو الذي كان وراء قصة «غبار» التي حاولت فيها ان تقدم نوعا عاديا من البشر ليس مصبوبا في قوالب متطلبات الاعوجاج النظري للصهيونية ، ولكن كتابا صهيونيين اكثر قربا من الاحداث من يائيل ، عاشوا فترة اطول منها في فلسطين قبل ١٩٤٨ واشتركوا في قتال ١٩٤٨ قدموا في السنوات القليلة الماضية نوعا من القصص القصيرة هو اقل فقدانا للموضوعية من قدم اوريس بالطبع ، ومما قدمت دايان ايضا .

السؤال هو ، لماذا ؟

اغلب الظن ان هؤلاء القصاصين ، وخصوصا (بنيامين تموز) و(س. يزهار) ليس بمقدورهم موضوعيا ان يحملوا

العرب جرائم هتلر ، كما حاول اوريس (ص ٣٨) ، وهم لا يواجهون ، على صعيد شخصي ، ضرورة تقديم مبرر للهجرة لانهم كانوا يعيشون في فلسطين قبل ١٩٤٨ ، وهم ، اغلب الظن والى حد بعيد قد مارسوا نوعا من العلاقة مع العرب في السنوات التي سبقت ١٩٤٨ سواء كانت علاقة قتال ام علاقة عادية، وقد شاركوا في الحرب وعاشوها واطلعوا من فوق ارضها الحقيقية على وقائعها ، وهم لا يواجهون بالحاح متطلبات الدعاية الخارجية كاورليس مثلا او كدايان التي تكتب بالانكليزية ، وقد شهدوا ولادة اسرائيل ، واحسوا ، اغلب الظن ، ان التصور النظري لحياة هذه الدولة ولمستقبلها لا ينطبق عمليا على الواقع ، وواجهوا داخل دولتهم الجديدة التناقضات التقليدية التي لم تستطع الصهيونية ان تتجنبها وفي احيان كثيرة زادتها .

لقد نشأ عن كافة هذه الضغوط اضطرار الرضوخ الى الموضوعية اكثر مما تتطلب الظروف الاخرى من الصهاينة الآخرين ان يرضخوا .

ورغم ذلك، وكي لا يمضي بنا التصور الى مداه ، فان الاختلاف بين هؤلاء الكتاب وبين غيرهم هو اختلاف محدود ويبدو ان المشكلة الكبرى التي تواجههم في اعمالهم الادبية هي انهم لا يستطيعون ببساطة اوريس وبركما وغورن وفيرتل ان يخلعوا عن العرب حقهم في الارض ولا يستطيعون ان يسقطوا من تجاربهم اكثر من ربع قرن عاشوها شخصيا كاقلية فوق ارض كتبوا هم انفسهم عنها ، قبل ١٩٤٨ ، بصفتها ارض مضيفة ، كما انه من الممكن ان يرضى الواحد منهم ان يكتب عن العرب فيصفهم بالجبن ، وان يكتب عن بطولة

اليهود الخارقة ولكن من الصعوبة حقا ان يضع الكاتب منهم في اتجاه شعورا، بان عام ١٩٤٨ كان جدارا فصل المجرى المستمر من الزمن ، وان القصة انتهت هناك ، ذلك انهم يعرفون ، بحكم تجربتهم الشخصية والمباشرة في النصف الاول من هذا القرن ان القصة ، فعلا ، لم تنته .

وهذا ليس تخمينا ، بل هو شيء شديد الوضوح في قصة شجرة الزيتون التي كتبها بنيامين تموز ، اذا تجاوزنا الروح الاستعلائية التي يتحدث فيها عن القرويين العرب ـ ويبدو ان هذه العلة تستعصي على الشفاء ـ تستطيع ان نجد في قصته ملامح التحليل الذي توصلنا اليه قبل قليل .

في مكان ما من الجليل يمتلك علي الطويل الى جانب بيته حقلا من الزيتون ، تربض في وسطه شجرة زيتون ضخمة تعطي قدر ما يعطي الحقل كله ، من زيتها يدهن اجساد اطفاله حين يولدون ، يشرب في الصباح ، يزين طعامه ويداوي امراضه ويهدي اصدقاءه وحين اراد ان يزوج ابنته ، الى قروي عجوز ورفضت الشابة هذا الزواج الظالم ربطها الى جذع الزيتونة يومين وليلتين حتى رضخت ، ولكنها لم تضع حملها في القرية لان اليهود اخطروا اهلها الى النزوح .

المهاجر اليهودي الذي تسلم حقل الزيتون لا علاقة له بالزيت ، لا يحبه ويبصق حين يتذوقه ولانه لا يستطيع ان يقص الشجرة فقد بدأ يبيع اغصانها الى الذين يصنعون منها جمالا وحميرا ويبيعونها للسواح ولكن الشجرة ذاتها بدت ، اثناء ذلك ، وكأنها تمد اغصانها العالية باتجاه الشمال ، كأنها ـ يقول المؤلف ـ تنادي فتاة تنتظرها وراء الحدود .

واخيرا قطعت وزارة الزراعة الشجرة

يقول المؤلف في نهاية قصته : «واجب ان اوضح السببين اللذين اقنعا الوزارة بقطع الشجرة ، الاول ان سلالم قطف الزيتون التي تمتلكها الوزارة ، وهي ذات اطوال واحدة ، لا تستطيع ان تصل الى اغصان الشجرة العالية ، والثاني ان الشجرة جاءت ، بالمصادفة، وسط الاتلام التي سيسير فيها الجرار اثناء الحرث، وقد ذكرت هذين السببين كي لا يقال ان هناك سبب ثالث» .

ان الغمزة التي سجلها المؤلف في مقطع القصة الاخير واضحة ، وقد تكون اكثر من مجرد غمزة ، قد تكون طعنة ، وكذلك فان من الواضح انه استعان بالتحيز التقليدي في وصفه العابر لحياة القرويين العرب ، ولكن الواضح ايضا انه لا يستطيع ان يتحرك على هواه ، كما فعل اوريس ، بسبب قربه الشديد من الاحداث .

والقصة الثانية هي ل س. يزهار واسمها «السجين» وهي محاولة لتصوير ما تردده الروايات عن البطولات اليهودية الخارقة تصويرا حقيقيا ، ولذلك فهو يروي كيف استطاعت فرقة من اليهود اعتقال راعي عربي وسرقة مواشيه ، ووصف في قصته وصفا دقيقا طريقة التنكيل اثناء التحقيق ، والنصف الاخير من القصة هو حوار ذاتي يناقش فيه العسكري اليهودي الذي كلف بنقل السجين مسافة طويلة في سيارة يناقش نفسه محاولا ان يقنعها باطلاق سراح السجين وتركه يعود الى زوجته ، والحوار بارع فنيا ، وموضوع على اسس عادلة ، ورغم ان منطق اطلاق السجين يفوز نظريا ، فان القصة تنتهي دون ان يقوم العسكري اليهودي فعلا باطلاق السجين .

ان المؤلف الذي لم يستطع ان يصور الراعي العربي الا وكأنه بهلول ، وهي العلة نفسها التي اشرنا اليها مرات عديدة ، يحاول ان يخرج من النطاق الفولاذي الذي ضربه الكتاب الصهاينة حول انفسهم محاولا ان لا يقسم قصته الى بياض مطلق وسواد مطلق ، راغبا في تلمس لمحات انسانية تقرب عمله من الجدارة الفنية بكل متطلباتها .

على ان هناك قصة بارزة ثالثة لبنيامين تموز اسمها «السباق» ، وهي تحكي عن صديقين عربي ويهودي قبل ١٩٤٨ كانوا يتسابقون سباحة في نهر قرب يافا ، وكان العربي يفوز دائما وفي الحرب احتلت مجموعة من اليهود بيارة برتقال ، وفجأة يكتشف قائد المجموعة اليهودية ان قائد المجموعة العربية هو صديقه القديم ، ويبادره العربي قائلا وكأنه يكمل حديثا : حسنا لقد فزت انت هذه المرة ! الا ان اليهودي يجيبه : «كلا ! ليس بوسعك قول هذا الا بعد خروجنا من الماء» ويبتسم العربي بأسى فيما يخلع اليهودي ملابسه وينزل الى النهر وهناك يسمع طلقة رصاص فينتابه شعور بان صديقه القديم قد قتل ،

يخرج فورا فيجد صديقه ملقى على وجهه ويقول له الجندي اليهودي : «لقد قتل خطأ» وحين يقلب جسده يرى فوق شفتيه ابتسامة غامضة ، كأنه هو الذي فاز في السباق فعلا !

ان الذي نريد التوصل اليه هو ما يلي : ان اخضاع الادباء الصهاينة المستلزمات الفنية لاعمالهم الادبية الى متطلبات الدعاية الصهيونية ، والى اسسها النظرية يوجه طعنة ليس الى المستوى الفني في العمل الادبي فقط ، ولكن الى قيمته الانسانية ، وبالتالي فان هذا ينتهي الى محاولات مذهلة للحديث عن ذلك المزيج المصطنع للدين والعرق بصورة ينطبع فيها العمل الادبي بطابعين اساسيين هما الشعور بالتفوق والاستعلاء والاصرار على احتقار كل ما هو غير يهودي .

وهذا لا يؤدي الى انتكاس فني فقط ولكن الى انتكاس خلقي ايضا ، وهذان النوعان من الانتكاس هما الصفة الغالبة ، موضوعيا، على الاعمال الادبية الصهيونية ، والتي حاولت تأريخ فترة الاربعينات والخمسينات بصورة خاصة

من هذا القانون العام تخرج ، الى حد ما ، الاعمال الادبية التي قام كتاب يهود اقرب الى ممارسة الاحداث وبالتالي اقل التزاما بالمتطلبات النظرية للصهيونية في محاولات لاعطاء اعمال جادة تتجنب ، في حدود معينة ، السقوط في شراك المزج بين العرق والدين والنتائج المترتبة على هذا المزج

الخطوة التالية في الاستنتاج ما يلي: ان الادباء الصهاينة الذين تقيدوا بالاسس النظرية للصهيونية دون تجارب فعلية وشخصية على ارض الواقع اعتبروا ؛ في اعمالهم ، ان عام ١٩٤٨ كان جدارا انهى تاريخا وبدأ تاريخا جديدا ، وكي يتوصلوا الى هذا الهدف الصهيوني زوروا الواقع وملأوا تسجيلاتهم بالتناقضات واخضعوا الاحداث الموضوعية الى اوهام نظرية، في حين ان الذين اضطروا لممارسة التجربة ومواكبة الواقع ما زالوا عاجزين عن ايجاد اي نوع من التطابق بين هذا الواقع وبين الاوهام النظرية للصهيونية ولذلك فهم يستطيعون ان يتصوروا شجرة الزيتون تمد فروعها العالية بانتظار الغائبين ، وحين يعجزون عن الاعتراف بما تعنيه هذه الحقيقة يقومون بنشر الشجرة ، وكذلك يستطيعون ان يعرفوا بانه لا يجوز لفرقة عسكرية كاملة ان تستعرض شراستها على راعي وان هذا الراعي يجب ان يعود لاهله ولطرشه وكي لا يقوموا بالخطوة التالية ينهون القصة دون ان يقولوا ماذا حدث وماذا سيحدث ، وهم يعرفون بان السباق لم ينته في النهر الذي يواصل جريانه ، وكي لا تكتمل القصة يجيزون لانفسهم اطلاق الرصاص خطأ على المتسابق الآخر .

ان هذا القفز من محور الى آخر في القصة ، والتناقض في السياق بالرغم من المعطيات التاريخية التي يفترضها المؤلف ، ان هذا كله ناتج عن التناقض الاصلي القائم في الواقع الذي يعيشونه ، وفنيا ايضا هم لا يستطيعون اكمال قصصهم على محاورها الحقيقية ذلك ان القصة ليست قصة الراعي فقط ولكنها قصة المرعى، ليست قصة المتسابق الذي قتل قبل نهاية الشوط ولكنها قصة النهر . ليست قصة شجرة الزيتون الضخمة ولكن قصة صاحبها ابو علي الطويل وابنته وحفيده ، وليس يبدو ، موضوعيا وفنيا ، من هو مؤهل لاكمال القصة فوق محورها التاريخي الحقيقي الا هؤلاء .

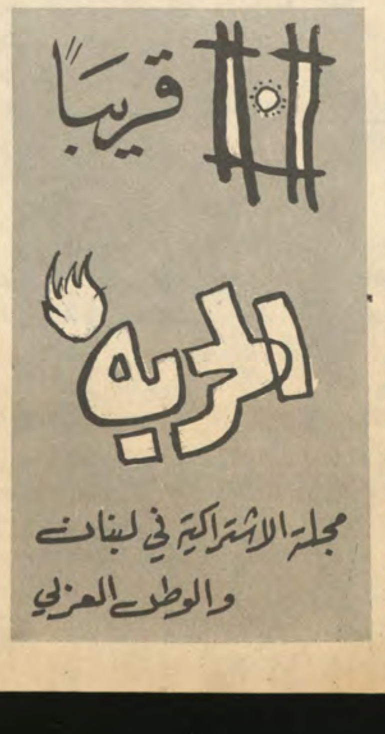

مناقشة

امام عشرات العيون والآذان لمستمعين من اعضاء الحزب الاشتراكي الوطني في كوبنهاغن فاجأني احد زعماء الحزب اثناء نقاش عاصف عن فلسطين بسؤال لم اكن اتوقعه :

– عليك الاعتراف ، هنا والان،ان الاسرائيليين استطاعوا جعل فلسطين بلدا ناميا جدا ، بصورة لم يكن بوسع شعبها البدائي ان يفعل ..

وتحت اضواء التلفزيون ومباشرة امام العدسة البارده كان لا بد من الجواب ، فاخذت اقوله بتمهل وهدوء :

– كلامك صحيح ، الا ان معلوماتي كمواطن عربي هي اكثر وضوحا في هذه الحالة ، لم يكن شعب فلسطين بدائيا فقط يا سيدي ولكنه كان متوحشا ايضا ، كان يسكن في كهوف حجرية وكان الوالدان اذا ما جاعا اكلا اصغر ابنائهما ، لم يكن شعب فلسطين قد اكتشف الزراعة بعد في عام ١٩٤٨ ، ولا الملابس ايضا، وكانت ادواته مؤلفة من حجارة مدببة ومن عصي .

وساد الصمت المطبق واخذ ينظر الي مدهوشا ، وكذلك فعل الجالسون الذين فوجئوا بلا شك تماما ، فان احدا لم يكن يتوقع ان يصاغ الرد بهذه الطريقة ، حتى ولا انا ، وبعد لحظة انتظار صغيرة اكملت :

– هذه هي حالة سكان فلسطين قبل ١٩٤٨ ، وانا اعلنها امامك باكثر مما تستطيع ان تفعل .. لنفترض ان هذا هو الصحيح فدعني أسألك واسأل الحضور سؤالا واحدا : هل يعني ذلك ان مثل هذا الشعب يجب ان يستبدل وان يفقد ارضه ولن يحل مكانه شعب آخر لانه « متحضر » اكثر منه ؟

وكنت انتظر جوابا منه حين كنت احضر الرد التالي فيذهني واتصور التغييرات التي يمكن ان نحدثها في العالم اذا كان جوابه «نعم» : اجتثاث شعب الهند، مثلا، واسكان الفرنسيين مكانه ثم اجتثاث الفرنسيين لاسكان السويديين ، واكتساح امريكااللاتينية لاحلال الاميركيين ...

ولكنه ، امام حيرة واضحة انتابته وانتابت الحضور ، قفز الى موضوع آخر معترفا بخطأ نقطته الاولى بصورة غير مباشرة :

– ولكن « الله » وعدهم بفلسطين .

ومن وراء العدسة اشار الفني ليعلن ان ما تبقى من الوقت هو دقيقة واحدة فانتهزت الفرصة لاشعال انفجار غير متوقع فسألت مدهوشا :

– ماذا ؟ هل تقصد ان الحركة الصهيونية قد وصلت الى هناك ايضا ؟

من مقال نشر مؤخرا
في صحيفة اجنبية
بقلم : سعيد سامي

بلادك

بيت صفافا

بيت صفافا قرية عربية تقع جنوبي القدس وتكاد لقربها منها تعد حيا من احيائها وكان عدد سكانها في اواخر ايام الانتداب الف وخمسماية نسمة جميعهم من العرب ، والقرية واقعة على تل مطل على خط السكة الحديدية التي تربط القدس بيافا وتل ابيب ، كما تقع على الطريق التي تربط القدس ببيت لحم والخليل .

● عند اعلان قرار التقسيم الجائر بحق شعب عرب فلسطين وقفت بيت صفافا موقفا رائعا ضد الغزو الصهيوني ، وقد وضع اليهود نصب اعينهم الاستيلاء على هذه القرية لما لها من مركز استراتيجي يشرف على عدد من الطرق العامة الرئيسية في جنوب القدس العاصمة ولكي يؤمنوا اتصال مستعمراتهم الكائنة شرقي الطريق (رامات راحيل) بمستعمرتهم الكائنة في الناحية الغربية منها (ميكور حاييم) .

● قام اليهود في ٢٥ كانون الاول عام ١٩٤٧ باول هجوم على بيت صفافا وقد اتوها من ناحيتين من ناحية رامات راحيل ومن ميكور حاييم ولكن حامية القرية تصدت لهم وقاتلتهم بشدة ودمرت القوات اليهودية تاركين عددا كبيرا من القتلى .

● قام اليهود بعد ذاك التاريخ بعدة هجمات للاستيلاء على القرية ، الا ان حماة القرية كانوا دائما يردون القوات اليهودية على اعقابهم خاسرين وظلوا على هذه الحال حتى عسكر الجنود الانكليز في القرية في اليوم السادس من شباط ١٩٤٨ قاصدين الحيلولة دون اشتباك الفريقين . وقد اجتمع الكولونيل هاربر القائد البريطاني في بيت صفافا بالاهالي العرب واكد لهم انه لن يسمح لليهود مطلقا بدخول القرية .

● انسحبت السرية البريطانية من القرية بعد سبعة ايام وذلك اثناء الليل دون اشعار احد من اهل القرية وكان الكولونيل هاربر على اتفاق مسبق مع قوات الهاجاناه – فدخلت القوات اليهودية القرية في ١٩٤٨/٢/١٣ وبدأت اعمال النسف والتقتيل حيث القت اكثر من سبعين قنبلة مورتر على الدور وقد تمكنت القوات اليهودية آنذاك من نسف معظم بيوت القرية .

● وهكذا سقطت قرية بيت صفافا في اليوم الثالث عشر من شهر شباط سنة ١٩٤٨ .

من الذاكرة

صبا الفاهوم

سار يقطع التسعة كيلومترات ركضا لم يشعر بالتعب او العناء في الستة كيلومترات الاولى وحاول ان يخترق ببصره ما تبقى من المسافة التي تفصل قريته عن عكا .. وتساقطت من عينيه دموع القهر وهو يتذكر كيف دخل جنود الهاجناه البروة وكيف وقف ابناءها يدافعون دفاع المستميت الذي صمم ان يلقى وجه ربه اكرم لقاء ، لقاء الشهيد الصائم ، وسقط اكثر من شهيد وتغلب العدد والعدد على الشجاعة والايمان . ودنس العدو ترابها الاحمر وسمم دخان البارود الغريب هواءها النقي الطاهر .

وتطلع الى الامل في جيش الانقاذ المعسكر في البلدة القريبة وشد الرحال الى شعب حيث يتناول مدلول عباس نائب القائد العام طعام الغذاء .... ووصل الهدف وشرح الوضع .

– وماذا تريدون منا ؟

– نريد استرداد القرية ولكننا لا نستطيع حراستها وحدنا فهل تقومون بصيانتها لو استعدناها ؟

– سنفعل باذن الله .

وتنادى شباب شعب ومجد الكروم ومعاد وسخنين وتمرة والبروة والرويس وبدأوا – يدرسون وضع البروة التي يعسكر عليها العدو مطلا على ثلاثة طرق تشرف الاولى على طريق البروة عكا والثانية عكا صفد والثالثة تعود الى شعب – شفا عمرو وسخنين.

وعلى قمة التلة يعسكر اليهود وتجمعت القوى العربية – هاجموا البروة من ثلاث جهات ورابط الجنود في الجهة الرابعة للضغط – وهاجم العرب من ناحيتين هجوما قويا اضطر العدو على اثره الى الانسحاب الى الناحية التي يكمن فيها العرب فتصدى لهم هؤلاء وقضوا عليهم قضاء مبرما وصادروا رشاشات فيكرز وحوالي اربعين بندقية وحصادة « كومباين مشين » .

وعاد السكان الى القرية ، وبعد الساعة الثانية عشرة عاد اليهود لتجميع قواتهم عند بئر العياضية قريب من ارض المكر وجددوا الهجوم وكان العدد كبيرا فاندفعت النساء يشجعن الرجال وحملت ام حسنين جرة الماء واندفعت الى الصفوف الامامية تزغرد : « ديه ما نقبل ديه ولا فلوس انجليزية ما نقبل غير دم الصهيونية » .

وترفض ان تسقي من جرتها الا جنود الصف الامامي واستبسل الرجال واستعذبوا الموت وشعر الجنود بان اليهود يحشدون قوى جبارة فذهب الشيخ سليمان الى شفا عمرو يطلب نجدة وما ان عاد مع محمد جادر وجنوده وفزيعة شفا عمرو حتى وجدوا ان اليهود قد ردوا على اعقابهم خاسرين بعد ان استمرت المعركة ما يزيد على خمس وعشرين ساعة كانت تتخللها فترات متقطعة لاعطاء فرصة للفريقين لسحب قتلاهم ...

وحضر رجال الهدنة وتفاهموا على ان يسلموا البلدة الى جيش الانقاذ ووافق الرجال حتى يعودوا لمراكز خط الدفاع حتى الامامية الممتدة من شفا عمرو الى ترشيحا ...

ودفن القتلى
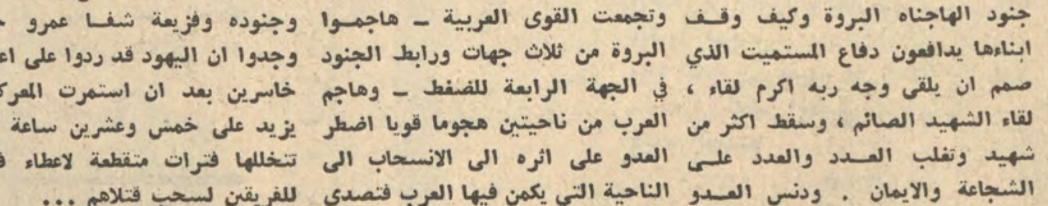
واستبدل الصراخ بالزغاريد فالشهيد لا يموت بل هو حي بكل قلب وتردد صوت احدى الامهات يقسم : والله لن يرتفع لنا صوت بعويل او بكاء حتى يتم لنا النصر الكبير